محمد إبراهيم محمد عمر همد محمود

صراع الديكة وقصص أخرى

مجموعة قصصيَّة قصيرة

FOR AUTHOR COPY ONLY

صراع الديكة وقصص أخرى

اجتاز نادر خان بوابة القاعدة الأمريكية في(كابل)، ولم يخضع لتفتيش أو أي اعتراض من الحرس الرئيس، لقد أُذن له بالدخول لأنه يحمل معه ديكاً أحمر الريش! لو أنَّ ذلك حدث في الأيام العاديَّة لكان ذلك غريباً بالفعل، ولكن الأمر لم يكن كذلك في ذلك النهار الصيفي لأحدي أيام الجمعات

ولكن البداية كانت قبل ذلك بأسبوع، عندما حضر المقدم جونسون وجنوده إلى سوق الطيور بـ(كابل)، وقد كانوا في دوريَّة عاديَّة، وذلك بعد أن هدأت الحرب وانتهت لصالح القوات الأمريكيَّة. توقف المقدم وجنوده بالقرب من تجمهر للناس بسوق الطيور، والغريب في الأمر لا أحد أعار أدنى اهتمام لجونسون وجنوده، إذ إنَّ المباراة كانت حامية الوطيس، مباراة صراع الديكين

أكاديميّ وقاص سودانيّ الجنسيّة، من مؤلَّفاتي العلميَّة:
1. العامل النحويُّ بين التقعيد والتعقيد.
2. الخطاب والسرد في رواية عرس الزين للطيب صالح.
3. الوشائج اللغويَّة بين العربيَّة و التگرايتْ.
4. مدخل إلى نحو اللغة التگرايتْ.
5. الأدب التفاعليَّ بين مؤيِّديه ومعارضيه.
6. مدخل إلى المعجم المقارن للغة التگرايتْ.
7. أركان الجملة في اللغة العربيَّة.

978-620-0-08807-9

Imprint
Any brand names and product names mentioned in this book are subject to trademark, brand or patent protection and are trademarks or registered trademarks of their respective holders. The use of brand names, product names, common names, trade names, product descriptions etc. even without a particular marking in this work is in no way to be construed to mean that such names may be regarded as unrestricted in respect of trademark and brand protection legislation and could thus be used by anyone.

Cover image: www.ingimage.com

Publisher:
Shams Publishing
is a trademark of
International Book Market Service Ltd., member of OmniScriptum Publishing Group
17 Meldrum Street, Beau Bassin 71504, Mauritius

Printed at: see last page
ISBN: 978-620-0-08807-9

Copyright © محمد إبراهيم محمد عمر همد محمود
Copyright © 2019 International Book Market Service Ltd., member of OmniScriptum Publishing Group

FOR AUTHOR USE ONLY

محمد إبراهيم محمد عمر همد محمود

صراع الديكة وقصص أخرى

مجموعة قصصيَّة قصيرة

FOR AUTHOR USE ONLY

Shams Publishing

FOR AUTHOR USE ONLY

محمد إبراهيم محمد عمر همد محمود

صراع الديكة وقصص أخرى

FOR AUTHOR USE ONLY

محمَّدإبراهيم محمَّدعمر همَّد محمود

(صراع الديكة وقصص أخرى)

(مجموعة قصصيَّة قصيرة)

FOR AUTHOR USE ONLY

إهداء

أهدي هذه المجموعة القصصيَّة إلى المذكورين بعد:

١. نادر خان: وهو يخوض حرباً ضروساً بالنيابة عن الجميع.

٢. والد الطالب منير: وهو يبحث عن حلٍّ لتراجع المستوى الدراسيِّ لابنه.

٣. المدعو(...): وهو يحتفل بعيد ميلاده لأوَّل مرة.

٤. صديق محمَّد فضل: وهو في غمرة فرحه بالجائزة.

٥. عصام الناجي: وعذاباته من جرَّاء التأخير في كل شيء في حياته.

٦. نبيل: وهو يبحث عن عروس بمواصفات محدَّدة.

٧. سويلم: وهو ينجز وعده بشراء هديَّة العيد لابنه.

إلى كلِّ هؤلاء الذين لم التقِ بهم وجهاً لوجه، ولكن مع ذلك عشت كثيراً من أفراحهم وأحلامهم، وأسعدتني انتصاراتهم، وأحزنتني انكساراتهم في معترك الحياة.

FOR AUTHOR USE ONLY

صراع الديكة

اجتاز نادر خان بوابة القاعدة الأمريكية في(كابل)، ولم يخضع لتفتيش أو أي اعتراض من الحرس الرئيس، لقد أُذِن له بالدخول لأنه يحمل معه ديكاً أحمر الريش! لو أنَّ ذلك حدث في الأيام العاديَّة لكان ذلك غريباً بالفعل، ولكن الأمر لم يكن كذلك في ذلك النهار الصيفي لأحدي أيام الجمعات.

ولكن البداية كانت قبل ذلك بأسبوع، عندما حضر المقدم جونسون وجنوده إلى سوق الطيور بـ(كابل)، وقد كانوا في دوريَّة عاديَّة، وذلك بعد أن هدأت الحرب وانتهت لصالح القوات الأمريكيَّة. توقف المقدم وجنوده بالقرب من تجمهر للناس بسوق الطيور، والغريب في الأمر لا أحد أعار أدنى اهتمام لجونسون وجنوده، إذ إنَّ المباراة كانت حامية الوطيس، مباراة صراع الديكين، حيث الجميع مشدود إلى متابعة الصراع بين الديكين، ديك– نادر خان– ذي الريش الأحمر الناريِّ وبين ديك آخر ضخم الجثة، وقد أمسك نادر خان ديكه من مؤخرة ريشه، وكذلك فعل الرجل الآخر بديكه. اقترب جونسون من حلبة الصراع، وقد راقه الصراع بين الديكين، فتابعه حتى النهاية، وقد انتهى الصراع لصالح ديك نادر خان، ومن ثمَّ انصرف الناس لقضاء أغراضهم، وانصرف جونسون وجنوده لمباشرة واجباتهم العسكرية، إلا أنَّ صورة الصراع ومشهده لم ينصرفا من مخيِّلة جونسون، وقد بات تلك الليلة يحلم به. في الصباح أمر جونسون أحد المترجمين بأن يشتري له ديكاً أبيض اللون، وقد همَّ بعد ذلك بالذهاب به إلى سوق الطيور، لولا أنَّ المترجم أخبره بأن الصراع بين الديكة يكون في يوم الجمعة فقط، فأمر جونسون جنوده بالاعتناء بالديك، كما أشرف على تغذيته بنفسه حتى يوم الجمعة.

وصل جونسون وديكه وجنوده سوق الطيور وقد انتصف النهار أو كاد، وذلك بعد أن فرغ من المهام الملقاة على عاتقه، وصلوا إلى هناك وديك نادر خان يصارع آخر ديك في ذلك اليوم، وقد بدا الإعياء واضحاً على جسد الديك، وقد خاض أربع مباريات حاسمة، وانتصر

FOR AUTHOR USE ONLY

فيهن جميعاً، وهذه هي المباراة الأخيرة، ولم تكن مضمَّنة في جدول المباريات، وقد خاضها نادر خان بسبب إلحاح الجماهير الغفيرة، والتي تجمعت لمشاهدة الديك الأحمر ومتابعة انتصاراته، فها هو ديكه يخوض الصراع بالرغم من أن كل الظروف – ظروف اللياقة والراحة – كانت في صف الديك الآخر، ولكن لم يكن أمامه سوى خوض المباراة، فخاضها مرغماً، شاهد جونسون الدقائق الأخيرة من المصارعة، وقد رأى ديك نادر خان يتفوَّق بصعوبة على الديك الأخير، وقد بدا الإرهاق واضحاً عليه، حتى أنه لم يصح صيحة النصر، والتي عادة ما يصيحها في مثل تلك اللحظات، وقد سرَّ ذلك جونسون فأسرَّه في نفسه، وقد همَّ الجميع بالانصراف لولا أن صاح جونسون بصوته الجهوريِّ، وقد زاده صوت المترجم الأفغاني حدة بقوله: لا أحد سيغادر المكان. آمركم بهذا. وأنت يا صاحب الديك الأحمر سيتصارع ديكانا الآن. أعتقد أنَّ هذا مفهوم .

قال جونسون ذلك ثم انتحى بجنوده عن الجمع الغفير تحسُّباً لأيِّ طارئ، وقد أشفق الجنود على قائدهم وعلى نفسهم من استفزاز هؤلاء الرجال، لأنَّهم يعلمون أنَّ هؤلاء الأفغان لا يمكن التنبؤ بردّة فعلهم، وخاصة في مثل هذه اللحظات التي يشعرون فيها بأنَّ غريباً يأمرهم بطاعته بطريقة كهذه، وقد كان الجنود محقِّين في اعتقادهم ذلك، إذ إنَّ تلك الكتيبات الصغيرة – عن طباع الشعب الافغاني– لم توزَّع عليهم عبثاً، لقد تذمَّر الرجال بالفعل، وقد بدأ الأمر بهمهمات غاضبة، ثم بدأت تعلو شيئاً فشيئاً، يبدو أنَّ الموقف سينفجر بعد دقائق، وقد بدا ذلك واضحاً على وجوه الرجال القاسية، ومن الشرر الذي يتطاير من أعينهم، وقد تيقَّن الجنود من أنَّ الإقامة الآن في هذا الموضع من سوق الطيور أشبه بالإقامة على فوهة بركان ينبعث الغاز من جوفه إيذاناً بالانفجار، وقد كان الأمر كذلك بالفعل، وقد همَّ الجنود بمغادرة المكان على الفور، لولا أنَّ قائدهم تسمَّر على المكان، ولولا الأوامر العسكريَّة الصارمة لتركوه وغادروا

FOR AUTHOR USE ONLY

بالفعل، ولكنهم يعملون أنَّ تسمّره بهذا المكان بالذات يُعدُّ أمراً عسكرياً بالثبات، ولا يقبل المناقشة، لذلك أطاعوا الأمر بالرغم من أن ذلك يعرض حياتهم للخطر.

يرى جونسون أنَّه خلاصة تجربة ديمقراطيَّة ناجحة، فهو منضوٍ تحت لواء الديمقراطيَّة التي فاضت عن حاجة أهلها، وحامل جذوة شعلتها المتَّقدة إلى أنحاء المعمورة، بل يخالج قلبه أحياناً شعور بأنَّه أنقى ما انتجته تلك التجربة، إلَّا أنَّ كل ذلك لا يمنعه من أن يلقي بالأوامر الصارمة، ولا يقبل أيَّ رأي أو احتجاج من الآخر، وخاصة في هذا الموضع من العالم، هذا الموضع الذي لم تطاله أعمدة الإنارة أو شبكات المياه، لذلك لم يجد جونسون مبرراً لهمهمة الرجال الغاضبة، فأمر المترجم بأن يقول لهم:

من الأفضل أن تكفوا عن الضجيج. إنَّها مباراة لا غير. يجب أن تلزموا الهدوء حتى لا يحدث مالا يروقكم. تردد المترجم في ترجمة ما قاله جونسون، لأنَّه يعلم يقيناً لو أنَّه ترجم هذا ترجمة ضمنيَّة فسيثير إعصاراً بالمكان، ولو أنَّه ترجمه ترجمة حرفية فسينفجر بركان بالمكان، أنَّه يعلم طباع أهله جيداً، وكذلك حدة ردود أفعالهم الغاضبة، أحسَّ المترجم بخطورة المهمة الملقاة على عاتقه، إذ إنَّ حياة الطرفين تعتمد على ما سيترجمه الآن، أحسَّ بدقَّة الموقف الذي يتطلَّب مهارات خاصة تمكّنه من أن يحقن كل هذه الدماء التي تضخ من القلوب على تلك الأجساد، والتي ستنفجر شلالات دمائها على الأرض لو أنَّه ترجم ما يقوله هذا الضابط الأمريكي. لأوَّل مرة في حياته يحسُّ المترجم بجسامة مسئوليَّة حقيقية، وهو الذي لم تتعد حدود مسئوليته عنزاته السبع وأخواته الثلاث في غياب والده، لم يتحمَّل مسئولية كهذه من قبل، ولم يكن على استعداد لتحملها يوماً ما، ولكنه يرى الآن أنَّ عليه أن يفعل ذلك من أجل أن يحقن دمه على الأقل، لعلمه أنَّ هذه الرشاشات الأمريكيَّة لو لعلعت الآن فإنَّها لن تميز رصاصاتها بين المُترجِم المصاحب لها وبين أهله المترجَم لهم، وكذلك يفعل رصاص مواطنيه، لذلك قال مهدِّئاً

FOR AUTHOR USE ONLY

من حدَّة الموقف:

إن جونسون يقول لكم.

هز الضابط جونسون رأسه إعجاباً، إنَّه يطرب لسماع اسمه، وخاصة عندما يقترن بقول مثل جونسون يأمركم. جونسون يحذِّركم. استمر المترجم في حديثه، وكذلك رأس جونسون بالاهتزاز: إنه صديق محبٌ لكم. ودلالة حبه أنَّه يأتي لمشاركتكم هوايتكم المفضلة. وإنِّ صراع الديكين سيكون تنافساً شريفاً، وتوثيقاً لأواصر الأخوة بين الشعبين الشقيقين. ولكن دعوكم من هذا الهراء الذي يقوله جونسون. نعم إنَّ ما يقوله جونسون هراء لا غير.

لاحظ جونسون أنَّ الترجمة قد أخذت طابع الإسهاب، وقد كانت موجزة من قبل، ولكنه لم يعترض أو يأمر المترجم بالاختصار، طالما أنَّ هذا المترجم يذكر اسم جونسون كثيراً، وقد راق جونسون سماعه لتكرار اسمه وسط تلك الفواصل والسكتات البليغة. أخذت حدَّة غضب الرجال طابع التفهم، وقد سيطر عليهم أسلوب المترجم وحديثه، وقد أعجب المترجم بنفسه وبحديثه الذي سيطر على الموقف وقد استمر بقوله:

فما جونسون بصديق لكم، ولا هو محب لكم أيضاً، بل إنَّ جونسون لم يأتِ لمشاركتكم هوايتكم المفضلة كما يزعم، أقولها لكم صراحة رغم زمجرتكم الغاضبة. وقد حقَّ لكم أن تغضبوا. نعم أقولها لكم أنَّه كاذب فيما يزعم.

دوَّت الزمجرات الغاضبة للرجال، وقد ضجَّ السلاح بأيدي الجميع، يبدو أنَّ حديث المترجم أصاب وتراً حساساً في قلوب الرجال، ولكنه همَّ بمواصلة حديثة، لأنَّه تعمد ذلك، لقد عمد إلى اتخاذ تكتيك بارع وخطر معهم، إذ استفزهم لأقصى درجة في الاتجاه الذي يريدونه، حتى يمكنه أن يقودهم إلى الاتجاه الذي يريده لهم، وقد كان الأمر أشبه بالسائق الماهر الذي يعود بالسيارة إلى الخلف حتى يندفع بها فوق كثيب الرمال الذي لا ترغب في اختراقه، لذلك استمر المترجم في حديثه برغم ضجيج السلاح وتكثُّف سحب المعركة، وهو يقول:

FOR AUTHOR USE ONLY

أعيروني آذانكم دقيقة واحدة، ثم افعلوا ما تشاؤون، إنَّ لكم مطلق الحرية وكلّ الحق بأن تغضبوا من هذا الـ(جونسون) وجنوده، بل من أحقِّ حقوقكم أن تنفجروا الآن من الغضب، وكذلك أنا. بل بإمكاننا أن نبيدهم جميعاً، كما إن بإمكانهم أن يفعوا ذلك بنا. ولكن قبل أن يحدث كلُّ ذلك، يجب أن نلقّنهم درساً لن ينساه من تبقّى منهم، إنَّكم تعلمون كما أعلم أنَّ صراع الديكين الذي يرغب فيه جونسون لن يكون تنافساً شريفاً، ولن يوثق أواصر الأخوة بين شعبنا والشعب الأمريكي، بل لا توجد أي صلة أو أخوَّة لنا مع الشعب الأمريكي ولكن دعونا نرد عليه بضاعته، ونرد له الصاع صاعين، سيتساءل البعض كيف سنفعل ذلك ؟!. سيكون ذلك بأن يتم الصراع بين الديكين الآن، ليس ذلك إرضاء له، ولكن حتى نوجِّه له صفعة لن ينساها، نعم يجب أن نجرعه الهزيمة في ديكه قبل أن نذيقه الهزيمة في نفسه وجنوده، وحتى تكون الهزيمة هزيمتين قبل أن نقتله وجنوده، وحتى نذيقه الموت مرتين. والآن ما رأيكم يا أخوتي؟ فإنَّ الرأي الأول والأخير هو رأيكم أنتم، وأنَّ القرار بأيديكم أيها الفتية الأشاوس.

FOR AUTHOR USE ONLY

ران الصمت المعبِّر على المكان، ثمَّ صاح أحدهم بالموافقة وصواب الفكرة، وتبعه ثانٍ ثم ثالث، ثمَّ تتابعت عبارات التأييد، وقد تحمَّس الجميع للمباراة الفاصلة والمصيرية بين الديكين. أعجب جونسون بالطريقة التي أقنع بها مترجمه هؤلاء الرجال، وقد استعدَّ للمباراة بينما نادر خان وديكه يستعدَّان أيضاً، إذ لم يعد أمامهما سوى الرضوخ لرأي الجماهير. افترش الضابط الأمريكي بساطاً كان قد حمله الجنود خصيصاً للمباراة، ثم جلس عليه ممسكاً ديكه من مؤخرة ريشه، بينما جلس نادر خان على الأرض ممسكاً بمؤخرة ريش ديكه هو الآخر أيضاً، ويبدو على ديك نادر خان النشاط بسبب الراحة التي اكتسبها أثناء فترة الجدال. بلغ الاستعداد أتمَّه، وقد اتخذ الوضع النهائي، الديك الأبيض فالضابط الأمريكي ثم جنوده، يقف مقابلاً لذلك الديك الأحمر فنادر خان ثم أتباعه ومريديه، وبدأت المباراة التي يراهن الجميع على الانتصار فيها، بدأ الديك الأبيض المصارعة وقد انقضَّ موجهاً ضربة قوية بمنقاره إلى عرف الديك الأحمر،

فاصطبغ بلون الدم القاني، وقد صاح جونسون فرحاً، فتوالت صيحات جنوده امتثالاً لصياحه، جاوب ذلك الصيحات الغاضبة للرجال الأفغان. لقد عوَّد الديك الأحمر مناصريه على امتلاك زمام المبادرة، هذه أول مرة يرونه يفلت فيها الزمام منه، وقد عزا بعض الرجال ذلك إلى الإرهاق، بينما يرى بعض الغاضبين أنَّ هذا بسبب الإهمال، في الوقت الذي يرى فيه أكثر هؤلاء غضباً أنَّ الديك لم يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه، وبالرغم من كلّ ذلك أبدى الديك الأحمر روح المقاومة، والديك الأبيض ينقضُّ عليه، وضربات منقاره تتابع عليه، وضجيج الرجال يزيده ارتباكاً. تقهقر الديك الأحمر عن موقعه حتى أحسَّ نادر خان بالخزي، وأحسَّ جونسون بنشوة النصر إلا أنَّ ميزان الصراع انقلب أخيراً، بدأ ذلك من ضربة مدروسة بارعة وجهها ديك نادر خان بمنقاره إلى العين اليمنى للديك الأبيض فتراجع الأخير مذهولاً، وقد استمر الديك الأحمر بالانقضاض، مشيعاً للأبيض بالضربات على عينيه ومنقاره، حتى رضخ الديك الأبيض وافترش الأرض، فعلاه ديك نادر خان صائحاً صيحة النصر، وضجَّ المكان بعبارات الثناء على الديك الأحمر، بينما وجم جونسون وجنوده من واقع النتيجة المخيِّبة لآمالهم، وقد عزا جونسون هزيمته إلى عامل الأرض والجمهور، وقد خطر له خاطر مفاجئ، فاعتدل واقفاً ثمَّ صافح غريمه وهو يقول مستفزًّا:

لن تستطيع هزيمتي هناك في القاعدة الأمريكيَّة.

وقد وجد نادر خان ذلك استفزازاً له، وكذلك وجد الأمر الرجال الذين يناصرونه، فقرَّروا أن يكملوا النصر حتى النهاية، وقد قال نادر خان:

يمكنني أن أهزمك هناك أيضاً. وإنني على ثقة من ذلك.

تحرك الجميع إلى القاعدة الأمريكية، وما أن بلغوا إلى هناك حتى تمَّ اعتراضهم، وسمح بالدخول لنادر خان وديكه فقط، بينما طُلِب من مناصريه أن يشاهدوا الصراع من خلف الأسلاك الشائكة للقاعدة. وبدأ الصراع بين الديكين، وقد بدا نادر خان غير متحمِّس لذلك،

FOR AUTHOR USE ONLY

وفي هذه المرة انتزع ديك نادر خان زمام المبادرة، وقد ضرب الديك الأبيض على عينه اليسرى، مما أفقده الرغبة في الصراع، فافترش الأرض صاغراً، فعلاه ديك نادر خان مرة أخرى، وصاح صيحة النصر المعتادة. استلَّ جونسون مسدسه وأطلق رصاصة على الديك الأحمر، فخرَّ صريعاً، ولعلع الرصاص من خارج وداخل القاعدة الأمريكية.

FOR AUTHOR USE ONLY

دروس (خصوصيَّة)

– إنَّ منيراً لم يكتب درساً منذ التحاقه بمدرسة النجاح.

قالت زوجتي ذلك بينما أنا أهمُّ بمغادرة المنزل إلى مبني الشركة التي أديرها، فقلت محاولاً التنصل من الأمر:

لقد كانت الفكرة فكرتك. وأنت من قام بنقل منير إلى تلك المدرسة بحجة أنَّها الأفضل والأكثر تفوُّقاً.

لقد كانت الفكرة بالفعل فكرتها، وذلك عندما قرأت عن مدرسة النجاح في إعلان لها بإحدى الصحف اليومية، وقد أصرَّت على أن ينقل منير إلى تلك المدرسة، وتحت ضغطها وإلحاحها نزلت عند رغبتها، وأذنت لها بتنفيذ رغبتها، وقد فعلت، والآن تفتعل مشكلة جديدة وتدَّعي أنَّ منيراً لا يكتب دروسه !. إذ تقول:

دعك من أنَّ الفكرة فكرتي، ومن أنَّني من قام بنقل منير، إنَّ مستقبل منير معرَّض للضياع، لابد أن تضع حداً لهذا، وتبحث عن حل لهذا المشكل.

قالت ذلك وقد أحضرت كراسات ابني، وتحت ضغطها المتواصل اطلعت عليها، فوجدت أنَّه فعلاً لم يكتب شيئاً عليها منذ شهر، وقد جعل من الكراسات لوحات لتلك الأشكال الغريبة التي يرسمها، والتي تشفُّ عن موهبة فذَّة، إنني أعلم أنَّ ابني ذكي ولمَّاح ولديه رغبة صادقة في اكتساب المعرفة واكتساب مهارات جديدة، لابد أنَّ خللاً ما في المدرسة ذاتها، إذا لم يكن بد من علاج الأمر فيجب أن يتمَّ علاجه من هنالك، إنَّ زوجتي على حقٍّ، لو تركت هذه الأمور تسير على هذا المنوال سيكون مستقبل ابني في كف عفريت، وسيضيع إلى الأبد، لابد أن أضع حداً لذلك، والآن وليس بعد.

اصطحبت ابني إلي ادارة المدرسة وأنا في طريقي إلى عملي، دخلنا مكتب المدير، ووجدت معلماً في العشرينيات من عمره، سلَّمت عليه ثم قلت:

FOR AUTHOR USE ONLY

أين مدير هذه المدرسة؟

قال بلا مبالاة وبآلية واضحة:

المدير مسافر. يمكنني أن أقدِّم لك ما في وسعي إذا كنت ترغب في استفسار أو استشارة ما.

قال ذلك ثم فتح درجاً من أدراج مكتبه، وقد تكدَّست بالدرج أوراق النقد بإهمال، صار يجمع الأوراق النقديَّة، ويعيد ترتيبها حسب الفئة والحجم. وقد قلت له:

أنا هنا بخصوص ابني منير، لقد نُقِل إليكم منذ شهر، وهو لم يكتب درساً واحداً حتى الآن. لا أدري ما الذي يعاني منه ابني؟

– ابنك لا يكتب بالفعل، حتى ولو كان يكتب دروسه أولاً بأول فإنَّ ذلك ليس حلاً، إن ابنك يا سيدي لا يستوعب الدرس بسهولة، ويحتاج إلى تكرار أكثر من مرة، وكما تعلم أنَّ الوقت واليوم الدراسي أضيق من أن يسمح لنا بإلقاء الدرس أكثر من مرة.

يبدو إنَّني فهمت تلميحه، إذا كان ابني لا يستوعب الدرس من المرة الأولى، وأنَّ الوقت واليوم الدراسيَّ لا يسمحان بالتكرار أكثر من مرة، فإنَّ الأمر واضح، لا علاج لذلك إلا الدروس (الخصوصيَّة)، هذا ما يعنيه هذا المعلم بالرغم من أنَّه لم يقل ذلك صراحة، لذلك قلت:

هل تعني أنَّ ابني يحتاج إلى درس (خصوصي) في مادة بعينها؟

– أنا لم أقل ذلك، ولكن بما أنَّك قد توصلت إلى هذا بنفسك، وإنَّك ترغب في اعطاء ابنك دروساً (خصوصيَّة) في مادة معينة، فإنني أنصح بأن يكون ذلك في جميع المواد الدراسيَّة.

قال ذلك ثم استمرَّ في ترتيب الأوراق النقديَّة، ودرجة مليء بها من فئات وقيم مختلفة، الآن عرفت من أين أتت كلُّ هذه الأوراق النقدية. إنَّها شقاء وسهر وكدح آباء التلاميذ الذين يتعاطون الدروس (الخصوصيَّة)، وقد تعرَّفت على مهن مختلفة من النقود التي أراها، من مهنة القصابة وحتى رجال الأعمال، يبدو أنَّ ابني هو الوحيد الذي لا يأخذ دروساً (خصوصيَّة)، على الرغم من أنَّ الوضع المالي المريح لأبيه يسمح بذلك، لا مانع لدي من أن أدفع لدروس

FOR AUTHOR USE ONLY

(خصوصيَّة) له، إنَّ منيراً فلذة كبدي وثمرة حياتي، لا شيء يغلو عليه، ولكن ما يحزُّ في نفسي أن يحتاج ابني إلى دروس (خصوصيَّة) في كلِّ المقرر الدراسي، وليس لأنَّ ذلك مكلفاً وإنما لأنَّ ذلك يعني أنَّ ابني لا يستوعب شيئاً، بالرغم من أنني أعلم وأثق تمام الثقة من أنَّ ابني ذكي ولمَّاح ولديه رغبة صادقة واستعداد فطري لتلقِّي مهارات وخبرات جديدة، وقد أغاظني ما قاله هذه المعلم بشدة فقلت محتجًّا:

ابني ذكي، ولا يمكنني أن أصدِّق أنَّه لا يستوعب كل المواد، ويحتاج إلى دروس (خصوصيَّة) فيها جميعاً ...

لم يتركني أكمل حديثي قاطعني بقوله:

لم أقل إنَّ ابنك لا يستوعب كل المواد، ويحتاج إلى دروس (خصوصيَّة) فيها، وربَّما نحن لم نلقِ الدروس بطريقة أقرب إلى فهمه، ولكن كما قلت لك إن الوقت لا يسمح بأن نطرح الدرس على كلِّ تلميذ على حده وبالطريقة الأقرب لفهمه.

يبدو أنَّ لهذا المعلم الفيلسوف الكثير من الحجج والبراهين لإقناعي بأنَّ ابني يحتاج إلى دروس (خصوصيَّة) مكثفة في جميع المواد، وقد تحدث هذا الفيلسوف عن أشياء كثيرة، وقد بدأ الملل ينتابني، حتى نام ابني على حجري، وأنا أيضاً بدأت أشعر بالنعاس، وحديثه المملُّ مازال مستمراً وقد كان حديثه يدعو للتثاؤب، وبين اليقظة والمنام سمعت بعضاً من حديثه عن الظروف المادَّية الضاغطة، وعن تلوث المياه بالزرنيخ، وضجيج المدينة، وعن موقعنا بالقرب من خط الاستواء، وتعامد الشمس عليه مرتين في العام، وكذلك شيئاً عن ثقب الأوزون، وظاهرة الاحتباس الحراري، وانبعاثات غاز الكربون من عوادم السيارات، واتفاقية كيوتو، وتراجع مستوي الذكاء عالمياً، وإن العالم صار قرية واحدة، وعدم كفاءة المناهج المدرسية، وعن القنوات الفضائية، والثقافة الشرقية الذكورية. لا أدري كيف ربط بين هذه الأشياء المختلفة وبين حاجة ابني إلى دروس (خصوصية) في جميع المواد الدراسية، ولكن والحق يقال لقد ربط بين كل ذلك

FOR AUTHOR USE ONLY

باقتدار، وكان حديثه عن ذلك سلسلاً ومرتَّباً ومنطقياً لدرجة الإقناع، وبالفعل توصلت إلى قناعة بأنَّ ابني في حاجة ماسة إلى دروس (خصوصيَّة) مكثفة في جميع المواد، وقد قلت موافقاً:

لا مانع لدي من أن يعطي ابني دروساً (خصوصيَّة) في جميع المواد، بل أطالب بذلك بشدَّة، فقط احتاج لمعلمين أكفاء في جميع المواد.

– يمكنني أن أعطي ابنك دروساً (خصوصيَّة) في جميع المواد.

– هل أنت متخصِّص في تدريس أكثر من مادة؟

وبدلاً من أن يجيب عن السؤال مباشرة، سلك طريقاً آخر للإجابة عن سؤالي، وذلك بقوله:

إنَّنا أبناء دول العالم الثالث لدينا مشكلة في...

فقدت صبري، لأنَّني لا أرغب في سماع محاضرة طويلة مرة أخرى، يكفيني أن فرغت من سماع المحاضرة السابقة قبل قليل، إنَّني أعلم إنَّ هذا الفيلسوف سيتحدَّث عن الخطة الإسكانية الجديدة، والتعداد السكانيّ وفائدته في تقديم دوال بيانية مفيدة لمشروعات التنمية، وعن هجرة الناس من القرى إلى المدن، وقلة فرص العمل، والظروف الصحية السيئة، سيتحدَّث عن كلِّ ذلك ثم يربط بين كلِّ ذلك وبين إمكانية أن يعطي دروساً (خصوصيَّة) لابني في جميع المواد الدراسية، لذلك قاطعته بسرعة:

FOR AUTHOR USE ONLY

أنَّني على عجل يا سيدي، وأنا موافق على أن تعطي ابني دروساً (خصوصيَّة) في جميع المواد ما دمت تجيد ذلك، لذلك أرجو أن...

فقال معترضاً:

سأتحدَّث بإيجاز، فقط أرجو ألَّا تقاطعني، ماذا كنت أقول؟

بدأت أشعر بالضيق لحديث وتصرفات هذا المعلم المتفلسف، لو تركته يبحث عن ماذا كان يقول سأفقد وقتاً أنا في حاجة إليه، وربما يفتح موضوعاً جديداً لذلك قلت:

كنت تقول نحن أبناء دول العالم الثالث...

فأكمل بقوله:

لدينا هوس وجنون اسمه التخصّص، كلُّ شخص منَّا يرغب في أن يتخصَّص في فرع واحد فقط من العلم، وكأنه بذلك يقدم نفعاً لا يقدر بثمن لأمَّته ومجتمعه، ولكنني أعتقد أنَّ ما ندرسه جميعاً هو مجرد تحصيل لمعارف وعلوم موجودة أصلاً، وأننا لم نبتكر شيئاً، ولم نضف شيئاً لإنجازات البشريَّة، ومع ذلك يتبجَّح الواحد من بأنَّه متخصِّص في فرع معيَّن من فروع العلم، لمجرَّد أنَّه يحفظ ويلوي لسانه بكلمات ومصطلحات عن ذلك الفرع، لا أريد أن أطيل عليك، وقتك لا يسمح بذلك، كما أنَّ الحديث عن التخصّص وأثره على المجتمع لن ينتهي بهذه السرعة، قد نتحدَّث عن ذلك في فرصة أخري. وأقول لك باختصار إنَّني أجيد تدريس جميع المواد، ما دمت معلماً فيجب أن أدرِّس كلَّ المواد، وإن كان لابدّ من التخصّص فيجب على المعلم أن يتخصَّص في جميع المواد.

حمدت الله كثيراً على فراغ هذا المعلم من إلقاء محاضرته بهذه السرعة، وعلى موافقته على إعطاء ابني دروساً (خصوصيَّة) في جميع المواد الدراسيَّة، وقد قال:

إذا كنت تريد أن أبدأ الدروس لابنك يجب أن توقّع على العقد.

لم أكن أعتقد أنَّ العقود ستصحبني إلى هنا أيضاً، وبينما هو يبحث عن العقود في أدراج مكتبه، اخترقت النافذة كرة قدم كان الأطفال يلعبون بها، كنت أتوقع أن ينفجر فيهم ويضربهم ضرباً مبرحاً، إلا أنَّه خيَّب ظنِّي، لم يفعل سوى أن ألقى لهم الكرة مبتسماً، وقد ناولني العقد للاطلاع والتوقيع عليه، قرأته جيداً فوجدته موثّقاً ومصاغاً بطريقة قانونية أكثر من جيدة، وأكثر من مُحْكَمَة، وقد تضمن أن يكون التعاقد لمدة ستة أشهر قابلة للتمديد، وأن يدفع والد التلميذ أجر شهرين مقدماً، كما احتوى العقد شرطاً جزائيِّاً لو أنَّ أحد الطرفين أخل بشروط العقد قبل انتهاء فترة التعاقد، ويفقد حقه المكفول له بموجب هذا العقد، إنَّه مصاغ بأحكام، وقد راقني

FOR AUTHOR USE ONLY

ذلك، وهممت بالتوقيع عليه لولا أن دخل تلميذ دون استئذان، ثمَّ وضع شريط (كاسيت) على مكتب المعلم، وهو يقول:

لقد قال لك أبي إنَّ مادة هذا الشريط غير واضحة ومشوشة، ويجب أن تجد حلاً لهذا.

لقد صدمني ما قاله هذا التلميذ! لم أكن أتوقَّع أن تتدنَّى العلاقة بين المعلم وتلميذه لدرجة تصل فيها إلى استعارة وإعارة الأشرطة الغنائيَّة، وقد صدمني أكثر ما فعله المعلم!. إذ قام من خلف مكتبه واتجه إلى خزانة خشبيَّة في أقصي حجرة المكتب، فتح الخزانة ثم أخرج شريط كاسيت آخر ثم ناوله التلميذ وهو يقول:

قل لأبيك أن يجرِّب هذا، وذلك بعد التأكُّد من أنَّ جهاز التسجيل يعمل بكفاءة، وذكَّره بأن لا يضع الشريط على مقربة من الأجهزة التي يصدر عنها مجالاً مغنطيسياً، وإذ لم يفلح كل هذا عليه أن يشتري النسخة الأصليَّة فهي الأفضل والأضمن والأكثر نقاء ووضوحاً في الصوت.

وبعد انصراف التلميذ سألت المعلم الفيلسوف:

هل تبيع أشرطة الكاسيت) الغنائية في حرم المدرسة وللتلاميذ؟

ضحك الفيلسوف وقد اهتز جسمه غير المتناسق، وقد بدا سخيفاً وهو يضحك، ثمَّ قال وقد دمعت عيناه من الضحك:

أشرطة (الكاسيت) التي تتحدث عنها ليست أشرطة غنائية، بل هي نتاج خلاصة مبتكرة للدروس (الخصوصيَّة) إذ إن وقتي لا يسمح بأن أعطي درساً خصوصياً لكل التلاميذ في ذات الوقت، لذلك توصَّلت إلى هذه الطريقة المبتكرة، وقد قمت بتسجيل الدروس على أشرطة (الكاسيت)، لقد كانت عملية التسجيل شاقَّة ومتعبة، ولكن المعلِّم يحتمل الكثير من المشاق في سبيل إيصال العلم إلى التلميذ، وإمعاناً مني في تقليص الفروق الماديَّة بين طبقات المجتمع قد جعلت من كل نسخة أصليَّة كثيراً من النسخ المسجلة عنها، وذلك حتي لا يُحرَم منها أبناء الذين لا يستطيعون أن يشتروا النسخ الأصليَّة، وإن كنت لا أنصح بشراء النسخة المسجَّلة لكثرة

FOR AUTHOR USE ONLY

عيوبها وعدم وضوح الصوت بها، ولولا نفاذ أشرطة دروس الصف السابع لنصحتك بشرائها لابنك.

أدهشتني طريقة هذا المعلم في تأدية واجبه، بالفعل الطريقة مبتكرة، وقد تكون مفيدة، إلا أنَّني لا أرغب في هذه الطريقة مادامت قيد التجربة، ولكن قد أقبل بذلك بعد التأكُّد من فاعليَّتها، وحتى يأتي ذلك الحين أفضِّل أن يعطي ابني دروسه (الخصوصيَّة) من المعلم مباشرة، بل ويجب أن يكون ذلك في منزلي، حتى يمكنني أن أضعهما– المعلم وتلميذه– تحت الرقابة الصارمة، لأنَّني بطبعي أفضِّل التأكُّد من أنَّ كلَّ دينار أنفقه يُصرَف في البند المخصَّص لصرفه، لذلك قلت:

لا أرغب في دروس (الكاسيت)، يجب أن تعطي ابنى الدروس في منزلي، ويكون التلقِّي مباشرة دون أيِّ وساط أخرى.

– إذن عليك أن توقِّع العقد.

وقَّعت العقد، وأعطيته شيكاً بمبلغ ستين ألف دينار عبارة عن أجره لشهرين مقدَّماً. وفي الغد بدأ المعلم الفيلسوف في إعطاء ابني دروساً (خصوصيَّة)، وقد شدَّدت على زوجتي بأن تحضر لهما – المعلم وتلميذه– ما يطلبان من مأكل ومشرب، وقد كان غرضي من ذلك أن تمارس عليهما دوراً رقابيًّاً لا يشعران به، وبالفعل صارت الأمور على ما يرام، وتفرَّغت لنجاحاتي المهنيَّة، ولكن ذلك لم يمنعني من أن ألاحظ تحسناً قد طرئ على خط ابني، وأنَّ كراساته قد شارفت على الامتلاء، وقد سرَّني ذلك فعلاً، وضاعف سعادتي لولا أنَّني عدت ذات يوم إلى المنزل لغرض من أغراض العمل قد نسيته، مررت بالصدفة بغرفة التلميذ ومعلمه، دخلت عليهما دون أن يشعرا بذلك، فوجدت التلميذ النجيب نائماً! بينما الأستاذ الكفؤ الذي يجيد تدريس كلَّ المواد منكبًّاً على كراسة ابني وهو يكتب ملخَّصاً لدرس من الكتاب، لقد ضبطتهما متلبسين بالجريمة! جريمة إهدار المال دون وجه حق ! انتبه المعلم النبيه لوجودي فجأة، حاول

FOR AUTHOR USE ONLY

أن يغطي على خطئه وهو يقرأ على أذن ابني النائمِ الدرسَ السابع والعشرين من كتاب الأدب والقواعد، لذلك قلت منهياً اللعبة:

لقد انتهى كلُّ شيء، لا داعٍ للخداع، عليك أن تعترف بأنَّك قد فشلت في أداء واجبك، وقد فقدك حقك المكفول لك بموجب العقد.

حاول أن يبدو أنَّه مندمج بتدريس ابني وهو نائم، ثمَّ التفت إليَّ وهو يتصنَّع الاهتمام:

هذه الطريقة طريقة مبتكرة للتدريس، ربما تكون آخر وسيلة للتعامل مع التلميذ الذي لا يستوعب الدرس بالتكرار، فعندما يدخل في النوم يكون عقله الباطن متهيِّئًا للتلقِّي، وقد سقطت عنه القيود الماديَّة والحسيَّة التي كان يتقيَّد بها في عالم اليقظة.

تركته يتحدَّث، وقد تحدَّث عن أشياء كثيرة، وربط بينها وبين طريقة إلقاء الدرس على أذني ابني وهو نائم، إلَّا أنني في هذه المرة لم تنطلِ عليَّ حيله وخدعه فطردته شرَّ طرد، وأنا أقول: إذا كان الأمر كما تقول لا حاجة لابني في الدروس (الخصوصيَّة)، سأقرأ في كلِّ ليلة على أذنيه كتاباً كاملاً من كتبه الدراسيَّة.

FOR AUTHOR USE ONLY

عيد ميلاد

سأحتفل اليوم بعيد ميلادي، سأحتفل بذلك رغم أنف الجميع، وقد نصحني بعضهم بأن لا أفعل ذلك، هذه المرة الأولى التي سأحتفل فيها بعيد ميلادي، لقد مضت سنوات عمري السابقة دون أن احتفل بهذه المناسبة، إذ لم تكن ظروفي الماديَّة تسمح بذلك، ولا محيطي الاجتماعي كان يهتمُّ بذلك، ولكن في الفترة الأخيرة تغيَّرت أشياء كثيرة في المجتمع، كما طرأت زيادة طفيفة على راتبي، وخشية أن أُنعَت بالبخل، أو أُوصَف بالتخلُّف، ومواكبةً مني لروح العصر، قررت أن أحتفل اليوم – السابع من مارس – بعيد ميلادي، وذلك لأوَّل مرة في حياتي. أعددت كلَّ شيء، بدء من تهيئة البيت للمناسبة السعيدة، وحتى تجهيز (التورتة) الكبيرة، وكذلك الشموع الملوَّنة، وقد صار كلُّ شيء معدًّا للاحتفال، وكنت قد أخبرت أصدقائي وشدَّدت عليهم في الدعوة، فوعدوني بالحضور.

أقبل المساء، انتابني إحساس بأنَّني إنسان مهمٌّ ورقم لا يمكن تجاوزه، أحسست بذلك وأنا أحصي الكراسي البالغ عددها ثلاثين كرسيًّا، وقد استعرتها من بعض جيرتي، لقد صار المسرح أعني البيت معدًّا للمناسبة المهمَّة، وهأنذا في كامل استعدادي لتلقِّي الهدايا وتهنئة الأصدقاء، الآن بدأت أدرك معنى أن يحتفل الإنسان بعيد ميلاده.

أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة مساء ولم يحضر أحد! بدأت أقلق، ولكن بددت قلقي بابتكار أعذار لتأخّر أصدقائي، وخاصة أولئك الذي يقطنون بعيداً عن مسكني هذا، و ظروف الطريق قد تأخِّر الشخص ساعة عن موعده، ولكن ما سبب تأخّر أولئك الذين يقطنون قريباً من مسكني؟! أغلب أولئك الذين يسكنون على مقربة من سكني متزوجون، و للمتزوجين ظروفهم الخاصَّة، وهؤلاء المتزوجون لا يمكن للمرء أن يثق بوعودهم، ولا يُعوَّل على دقة مواعيدهم، إذ إنَّ مثل هذا الحضور إلى مناسبة كهذه يحتاج إلى خروج من البيت بعد ساعات العمل الرسميَّة، وذلك الخروج يحتاج إلى إذن مسبَّق من الزوجة، وغالباً ما يكون هذا الإذن مقروناً بتهديد

FOR AUTHOR USE ONLY

صارم، ويكون محدَّداً بوقت معين(من– إلى) في دِقَّة واضحة لا تقبل التأويل، هذا طبعاً إذا كانت الفرصة مواتية، وإلَّا فإنَّ الزوج سيتودد لمانح الإذن– زوجته– بكلِّ السبل بدء من كلمات الغزل الرقيقة التي لم يستعملها منذ سنوات، وتقديم وعود معسولة بهدايا لأعياد ومناسبات لم يحن وقتها بعد، فيصيبها كلُّ ذلك بالغرور، بل هذه الجرعة المضاعفة من اللطف ستزيدها شكاً وهي متشكّكة أصلاً، حينها ربما يغيظ الزوج تجاهل زوجته له، ولكن يكتم غيظه، لأنه يعلم أن مثل هذا المشكل يجب أن يحلَّ بهدوء، كما أنَّ الوقت لا يسمح بالشجار والمناقشة الساخنة، يحاول أن يتجاهل تجاهلها له، وهي تشغل نفسها بتصفح القنوات الفضائيَّة، بل تحاول أن تبدو مندمجة مع ما يعرض عليها، فيستغل الزوج المناسبة، مناسبة توقفها عند هذه القناة الفضائية بالذات، يثني على حسن اختيارها، ودقَّة توقيتها الذي اختارت فيه التوقف عند هذه القناة الفضائية، كما يثني على حسَّها الفني الموجَّه باختيارها هذا (الفلم) الاجتماعيَّ التربويَّ الهادف، وستتجاهل زوجته كلَّ ذلك، وسيفطن إلى سذاجة السبل المراهقيَّة التي مازال يتبعها مع زوجته، وسيبدو له كلُّ ذلك سخيفاً، سيفكر وسوف يهديه تفكيره إلى أنَّ الحب بعد عشرة سنوات من الزواج يجب أن يأخذ طابعاً عملياً، وقد مضى ذلك الجانب الرومانسي الحالم منه، يشرع في تنفيذ ذلك عملياً، يحمل أطفاله إلى الحمام، يغسل أطفاله بإتقان ويغيِّر لهم ملابسهم، يشدُّ عليهم حفاظاتهم ويلبسهم ملابس النوم، وبما أنَّ الاعمال المنزلية تثقل كاهل زوجته فإنَّه يجمع أواني طعام الغداء، والتي لم تغسل بعد مع أن الساعة تشير إلى التاسعة مساء، يجمع الأواني ثمَّ يشرع في غسيلها وتلميعها، لاشك أنَّ ذلك سيعجب زوجته، وسترضى عنه بسبب هذه المساعدة الفاعلة، وتسمح له بالخروج، على ذكر الخروج يلقي نظرة على الساعة، يجدها تشير إلى الحادية عشرة مساء، يجد أنَّ الوقت قد مضى، وأنَّ كلَّ جهوده قد ذهبت سدى، يترك بعض الأواني لم تغسل بعد، ينفض يديه اللتين بدأتا تتجعدان من الغسيل، ويأوي إلى فراشه غاضباً.

FOR AUTHOR USE ONLY

ولذلك أحمد الله كثيراً على أنَّني لم أتزوج بعد، بالرغم من أنَّ الرغبة في الزواج موجودة، وأنَّ الظروف الماديَّة هي التي تحول دون ذلك، وقد كان هذا البيت يحوي يوماً ما أربعة رجال غير متزوجين، بما فيهم أنا طبعاً، وقد كانوا ذوي عقول نيِّرة، وقد تفتَّقت عقولهم ذات يوم على معاهدة، معاهدة عدم الزواج، وذلك احتجاجاً على الظروف الماديَّة والأوضاع المتردِّية، ونسبة لغلاء المهور، وعدم تفهُّم أولياء الأمور هذه الأسباب التي تحول دون إتمام الزواج، وبالرغم من أنَّ المعاهدة لم تكن مكتوبة، ولم يبصم عليها أحد بإبهامه، أو يوقِّع عليها بالأحرف الأولى من اسمه، تقيَّدوا بها لفترة طويلة، بل قرروا أن يدعو جميع الشباب للانضواء تحت مظلتها، بعد فترة تحسنت ظروفهم الماديَّة، وبدأ الإخلاص للتقيُّد بالمعاهدة يتلاشى، والرغبة في خرقها تكبر حتى خرقها أكبرهم سنَّاً، وقد اكتشف أنَّ عمره قد بلغ الأربعين، كما اكتشف أنَّه لم يتبقَّ من شعر رأسه سوى بعض الشعيرات في ركن منزوٍ من رأسه على شكل شارب متواضع، خرق المعاهدة، تزوج وترك لنا سريره خالياً، وقد كان الثاني – بترتيب سنوات العمر– ينتظر فرصة كهذه لخرق المعاهدة، بل كان متعطشاً إلى ذلك، لولا أنه يحتاج إلى مبرِّر خلقيٍّ لخرق المعاهدة، وقد وجده، خرقها هو أيضاً تزوج وترك لنا سريره خالياً، تبقَّى الرجل الثالث وأنا! وقد أحسست بأنَّ لديه رغبة صادقة في الزواج بل خرق المعاهدة، ولولا أنَّه يشفق عليَّ من الوحدة لتزوج وتركني، وقد تبدَّى ذلك من جمعه لأثاثات ومتطلبات الزواج، وكذلك من مبيته خارج البيت كثيراً، كما صار يبتعد عنِّي، بل ويخرج من البيت عندما يرن جرس هاتفه –المحمول– منبِّهاً بوجود مكالمة واردة، وقد كان فيما مضي يردُّ على مكالماته بحضوري، حينها بدأت أشعر بالذنب الذي ارتكبته بحقه، إذ صرت أحول بينه وبين الزواج، فأخبرته بلهجة مهذَّبة ومحايدة، وأفهمته بأنَّه لا مانع لدي من أن يتزوج، وأنَّني لن أعتب عليه لذلك، وأنَّه في حلٍّ من المعاهدة التي خرقها الرجلان الآخران قبله، وقد منحته درساً مجَّانياً عن المعاهدات والمواثيق، وكيف أنَّها تفقد أهميَّتها بفقدها النصاب المحدد لاستمرارها، وكيف أنَّ معاهدتنا تلك فقدت نصاب الأكثريَّة

FOR AUTHOR USE ONLY

الذي يضمن استمراريَّة التقيُّد بها، وذلك بخروج صديقينا الآخرين منها سلفاً، يبدو أنه كان ينتظر ذلك، وقد انتظر طويلاً، غادرني في ذات اليوم وقد جمع أغراضه المعدَّة مسبقاً للزواج، وقد تزوج وترك سريره خالياً أيضاً، بقيت أنا وسريري وثلاثة أسرة خالية، لقد صرت الوحيد الذي تبرَّأ من خرق المعاهدة، وأنا في حلٍّ منها، ومع ذلك أتقيَّد بها رغم أنفي، إذ إنَّ ظروفي الماديَّة لم تسمح بالزواج بعد.

لم أعد أراهم من ذلك اليوم إلا نادراً وعن طريق الصدفة، وقد طرئ عليهم التغيُّر، لم يعودوا أولئك الشباب الذين يهتمون بمظهرهم وأناقتهم، بل كان بعضهم يحسدني على حياتي هذه، وقد كنت أشفق عليهم عندما يتندرون عن حياتهم الزوجيَّة، وقد كنت أحياناً أتعمَّد استفزازهم، إذ أذكر لهم بأنَّني إنسان حر لا يقيد حريتي أحد، أذهب إلى البيت متى أشاء، وأنفق من الوقت والمال ما أشاء، وأنام متى ما أشاء، لا أحد يحاسبني على أفعالي وتصرفاتي، ولا أقدم قائمة بتحركاتي وأقوالي لأحد، بل لا أحد يسألني عن سبب تأخيري كما أنني أضمن بحريَّتي الحريَّة لهاتفي المحمول، إذ إنَّني لست مضطراً لمسح بعض الرسائل التي ترسل إليَّ، ولن يتعرض هاتفي لتفتيش مفاجئ من أحد بين كل فترة وأخرى، ولست مطالباً بوضعه في متناول يد أحد ادعاء للنزاهة والشفافيَّة، فيزداد حينها حسدهم لي على هذه الحرية المطلقة، إلّا أنَّ لهذه الحريَّة بعض المساوئ، فقد بلغت الأربعين من عمري ولم أتزوج بعد، الإحساس بالوحدة يجثم على قلبي فيذيدني اكتئاباً وحزناً، وقد بدأ الأصدقاء ينسلون من حياتي القاحلة التي لا تروق أحداً، لا زوجه تشاركني أفراحي وهمومي، مللت من العودة المتأخرة ليلاً، وقد طال شوقي لزوجة تنتظرني ثمَّ تعاتبني وتغضب لعودتي المتأخِّرة، سيجعلني ذلك العتاب والغضب أحسُّ بأنَّ هنالك من يهمُّه ويقلقه تأخيري، ولولا الظروف الماديَّة الحرجة لتزوجت الآن وتنازلت عن تلك الحرية المغشوشة طائعاً.

FOR AUTHOR USE ONLY

صدم قدمي من شدة الانفعال أحد أطراف المنضدة، اهتزَّت لذلك، وسقطت الشموع على الأرض، رفعتها ووضعتها في مكانها على الطاولة، صوبت نظرة على الساعة الحائطيَّة، وجدتها تشير إلى الحادية عشرة مساء، ولا أحد حضر من المدعوِّين ! ولا أحد من المدعوِّين كلَّف نفسه مشقة الاعتذار بالاتصال على هاتفي المحمول ! على ذكر الهاتف أخرجت هاتفي المحمول من جيبي، وجدته في وضع صامت (#)، ووجدت على شاشة الهاتف ثلاثين رسالة نصِّية بعدد المدعوِّين! وقد كان محتوى الرسائل متشابهاً، من نوع (آسف لا يمكنني الحضور)، وقد غضبت لذلك غضباً شديدا، هممت بدهس الشموع بقدمي، والقذف بإناء (التورتة) و(التورتة) على الحائط، ولكن تراجعت عن ذلك بصعوبة، وهدَّأت غضبي، ما ذنب هذه الشموع– التي ستدهس بالقدم– وقد كانت على استعداد وأريحيَّة تامة للاحتراق من أجل الاحتفال بعيد ميلادي، وما ذنب هذه (التورتة) حتي يُضرَب بها الحائط، وقد كانت على استعداد وكرم لأن تجود بنفسها لالتهامها بمناسبة عيد ميلادي، بل ما ذنب راتبي الذي أنفقته على شراء الشموع و(التورتة) ومستلزمات الاحتفال حتى يذهب سدى، بل ما ذنبي أنا – صاحب الراتب المغلوب على أمره والمنفق علي شراء كل هذه الأشياء – حتى أغضب وأفعل براتبي كلَّ ذلك، كلُّ ذلك لأنَّ بعض الأصدقاء لا يقيمون وزناً للدعوة، أو لم تسمح لهم زواجاتهم بالخروج ! ربَّما لست مهمَّاً، أو ربَّما لا يقيمون وزناً لحريَّتهم الشخصيَّة والمشاركة في مناسبات أصدقائهم، اعتقد أنَّ السبب الأخير مناسب ولكن الأوَّل مستحيل، إذ إنَّ الرجل الذي يحتفظ بحريَّته أربعين عاماً لا يقلُّ منزلة عن أولئك الذين يمنحون وسام الجمهورية. جمعت الشموع وقد استعدت هدوءي، ستكون مفيدة أثناء قطوعات الكهرباء، قضمت من (التورتة) ثمَّ وضعتها بإنائها داخل الثلاجة، ستكون مفيدة جداً بالتهامها مع شاي الصباح، أغلقت بابي، وأويت إلى فراشي، ثمَّ سحبت الغطاء لرأسي، ولم أنسَ أن أقول لنفسي: عيد ميلاد سعيد يا (...)،لا داعٍ لذكر أسماء، لا أحد يقيم وزناً لذلك.

FOR AUTHOR USE ONLY

الجائزة

أقبل المساء، هأنذا أسابق أطفالي إلى الجلوس أمام التلفاز، جلست وبي لهفة يشوبها القلق بين اليأس والأمل، أخيراً قد أتى هذا اليوم، بل هذا المساء، سيتمُّ بعد قليل إذاعة اسم الفائز في مسابقة رمضان الكبرى، لم أكن أتوقَّع أن يأتي هذا اليوم، بل لم أكن أتوقَّع أن أشارك في هذه المسابقة من الأصل، لولا أنَّ صديقي علاء أتاني بأسئلة المسابقة وقد عجز عن التوصل إلى حلولها، أتى كي أضع حدَّاً لمعاناته، ومد يد العون له بأن أحلَّ له ما عجز عنه من أسئلة المسابقة، وقد كان له ما أراد، بل كان كرماً منه كما قال بأنه أشركني في هذه المسابقة نظير المشاق المتكبَّدة في سبيل حصولي على كلِّ هذه المعارف التي تمكَّنا بها من التوصل إلى الإجابات الصحيحة لها. ها هو صوت المذيعة الرخيم يعلن:

سيداتي سادتي أقبل أخيراً اليوم الذي انتظرتموه طويلاً، سيتمُّ الآن اختيار الفائز في مسابقة رمضان ومعي السيد مدير التلفزيون القومي لاختيار صاحب الحظ السعيد، مع تمنياتنا بالفوز لكلِّ المشاركين، فليتفضَّل سيادته مشكوراً.

FOR AUTHOR USE ONLY

(أفٍّ)، لقد سئمت هذه الجملة السخيفة (مع تمنياتنا بالفوز لكلِّ المشاركين) مع علمهم بأنَّهم يحتاجون لفائز واحد، وأكاد أشك بأن يكون من البشر لكثرة المشاركين والراغبين في الفوز، لم أكن بطبعي أميل للمشاركة في مثل هذه المسابقات، بل لم أكن أضع المشاركة أو الفوز بمسابقة ما في قائمة طموحاتي المستقبليَّة، ربَّما كان ذلك تشاؤماً منِّي، ولكن بما أنَّني اشتركت في هذه المسابقة فهذا يعدُّ أملاً منِّي فيها، بل الأمل نفسه، لقد علمت أخيراً أنَّ الحاجة إلى الفوز بمثل هذه المسابقة تتناسب طردياً مع الأمل في نيلها ونسبة لحاجتي الماسة إلى المال في هذه المرحلة من حياتي تراني مترقِّباً ومتوجِّساً مما سوف يعلن عنه الآن، أتمنى أن أكون صاحب الحظ السعيد. ها هو مدير التلفزيون يتناول مظروفاً ملوَّناً، يبدو أن لونه أخضر،

يشبه المظروف الذي أرسلت فيه مشاركتي، ها هو يفتحه ببطء يكاد يوقف نبضات قلبي الواهية، ها هو صوت المذيعة الرخيم يذيع اسم الفائز من بين سبعة آلاف من المشاركين: فائزنا اليوم هو صدِّيق محمد فضل.

هأنذا أقفز من الكرسي وأسقط على الأرض من وقع المفاجأة! وأطفالي يقبلوني، وتنهمر الدموع من عيني زوجتي لشدَّة الفرح، أركض لأصل غرفة والدتي، وأخبرها بالمفاجأة السعيدة وأنا أتراقص من الفرح، حتى صارت أمي تشكُّ بأنني قد أصبت في عقلي وفقدت صوابي، ومالي لا أفقد صوابي! فمبلغ عشرة مليون دينار سبب مناسب للإصابة بالجنون! جنون الفرح المباغت ! لن ننام هذه الليلة سنحتفل أنا وأفراد أسرتي حتى الصباح.

أشرق الصبح إشراقه محبَّة وتقدير مفاجئ لي من أفراد أسرتي، سألت زوجتي عن زمن استلام الجائزة فقد نسيت أن أسمع ذلك في غمرة الفرح الذي انتابني بالأمس، أخبرتني بأنَّ ذلك غداً، يلتف الكلُّ حولي، يحاصروني بطلباتهم منها ما هو آنيٌّ، ومنها ما هو بعد استلام الجائزة، أعطيتهم وعوداً بذلك، تسبَّب كلُّ ذلك في تأخيري عن مواعيد عملي، وصلت إلى المؤسسة، وإذا بوجه المدير العبوس يكاد يلتهمني، عاتبني بحزم لم اعترض عليه فيما مضي، ولم يعد ما يجبرني على سماعه الآن، فرددت له الصاع صاعين، وبمظهر بطولي زائف تناولت ورقة وكتبت عليها استقالتي، يكفيني ما ردَّدته عشرين عاماً لـ (كلمة سيدي) وقد حُقَّ بأن تُقال لي بعد اليوم، قُبلَتْ استقالتي غير مأسوف عليها، بل لم أكن انتظر شيئاً من ذلك، خرجت من باب المؤسسة، ذهبت إلى البنك لسحب مدخراتي، وجدتها قد بلغت ثمانين ألف دينار، اشتريت منها الهدايا التي وعدت بها أبنائي، وكذلك الكثير من أصناف الطعام التي حرمتهم منها فيما مضي من حياتهم، تبقي معي مبلغ عشر ألف دينار، يكفي لشراء احتياجات البيت في الغد، وقد كان يكفيه من قبل مبلغ ألف دينار بما في ذلك المتطلَّبات المدرسيَّة، أخيراً وصلت إلى داري والكلُّ في انتظاري، وهالة ضخمة من الأهميَّة تحيط بكياني، وزَّعت عليهم

FOR AUTHOR USE ONLY

الهدايا وأصناف الطعام، خرجت والدتي من غرفتها تتساءل عيناها عن هذا الرخاء المفاجئ، فأجبت متحدِّثاً بفخر عن كل ما فعلته منذ الصباح، فيخرج صوتها واهياً والعبرات تتلاعب بأوتاره:

ما الذي حملك على فعل ذلك يا بني؟

– ماذا كنت تتوقعين أن أفعل؟ يكفيني ما خدمته بهذه المؤسسة، ولم أعد بحاجة إليها بعد اليوم، وفي الغد سوف استلم الجائزة التي فزت بها. هل تدرين كم تبلغ ؟ إنَّها عشرة ملايين يا أمي. تكفي أن نعيش سائر الدهر في ترف وبذخ.

– أسفى عليك يا بني. مازلت صغيراً لم تتعلَّم بعد. أنَّه لغباء منك أن تضيع عملك ومستقبل أبنائك باعتمادك على استلام الجائزة. إنك "كمن يضع غذاءه في يد غيره، فلن يضمن وصوله إلي فيه أبداً"

قالت ذلك ثم ابتعدت تجرِّر قدميها. وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى مبني التلفزيون، وصلت قبل أكثر العاملين به، وجدت شرطياً صارم الملامح فأخبرته بأنني الفائز بالجائزة، وربَّما أعلموه بحضوري من قبل، إذ لم يمنعني من دخول المبني بعد التأكد من هويتي، ودخلت علي موظف الاستقبال فتحقَّق هو أيضا من ذلك، ودعاني للجلوس، ثم دلف إلى حجرة مجاورة. فتح الباب ودخل معه موظف آخر حيَّاني بتواضع، ورحَّب بي كأنَّه يعرفني قبل أن تلدني أمي، وهو يقول:

إذن أنت صدِّيق محمد فضل، الفائز في مسابقة رمضان الكبرى.

ناولته بطاقتي الشخصيَّة، أخذها وخرج، ثمَّ عاد بعد برهة ومعه المذيعة اللامعة والتي تشرَّفت بنطقها اسمي، شيئاً ما أقلقني وهما داخلان الغرفة عليَّ، لم يعجبني تهامسهما، ترتفع نبضات قلبي، يقتربان منِّي، وفي يدها المظروف الذي أرسلت فيه مشاركتي، وسبق أن رأيت قد

FOR AUTHOR USE ONLY

فضَّه مدير التلفزيون القومي، فهدَّأ ذلك من روعي، ولكن ما سمعته منها كان آخر شيء يمكن أن أتوقَّع سماعه الآن:

نعتذر يا سيدي، لقد حدث تطابق في الأسماء، فالمفروض أنَّ من أذعنا اسمه هو صدِّيق محمد فضل مصطفى، وأنَّ اسمك المكتوب على البطاقة هو صديق محمد فضل م...

لن انتظر سماع اسم جدي من فيها، لأنَّني أعلم أنَّ اسمه محمود وليس مصطفى، ها هي الأرض تميد بي، بل تُسحَب من تحت قدمي، غمامة سوداء تغطِّي عيني، وصوت أمي يطنُّ في أذني:

أنَّه لغباء منك أن تضيع عملك ومستقبل أبنائك بالاعتماد على استلام الجائزة أنَّك "كمن يضع غذاءه في يد غيره، فلن يضمن وصوله إلى فيه أبداً."

FOR AUTHOR USE ONLY

متأخّر جداً

أخيراً وصل عصام إلى مبنى الشركة التي يعمل بها، ألقى نظرة على الساعة، وجدها تشير إلى التاسعة صباحاً، اجتاز بوابة المبني، لم يكلّف نفسه مشقة إلقاء التحيَّة على البواب، ولكن الأخير تلقّاه بالتحيَّة، فرَّد عصام التحية بعد التيقن من أنَّه المعني بذلك، همَّ بمواصلة السير إلى مكتبه في الطابق الأرضي من المبني إلا أنَّ البواب تابع حديثه بالقول:

عصام، عليك الذهاب إلى مكتب المدير فوراً، فقد مضت ساعة وهو يسأل عنك.

كلُّ ما قاله البواب لم يمنعه من متابعة سيره إلى مكتبه، ليجد هناك المفاجأة، وجد هنالك سيادة المدير يجلس على كرسيه خلف مكتبه المتواضع، ألجمته المفاجأة ! صار عقله يسترجع أحداث الأمس بسرعة، هل أخطأ خطأ يستلزم أن يحضر المدير إلى مكتبه في هذا الوقت المبكّر؟! حاول أن يسترسل في التذكُّر بينما عقله يرفض الاسترسال أكثر من ذلك، وإذا بصوت المدير يقطع عليه أفكاره:

اجلس يا بني، مضي وقت ليس بالقصير ومازلت واقفاً فاغراً فاك.

لم يصدِّق عصام أذنيه، لقد تعاقب على رئاسته ثلاثة من صنف هذا المدير، إلّا أنَّه لم يقف أمام أحدهم وجهاً لوجه، وحتى عندما يوقعون به عقاباً يكون ذلك كتابةً، أمَّا أن يأتي سيادة المدير إلى مكتبه ثمَّ يدعوه للجلوس! هذا ما لا يستوعبه عقله بسهولة. جلس عصام على المقعد بآلية واضحة، حتى أنَّه يشكُّ في أنَّه قد فعل ذلك أمام سيادة المدير وبدعوة منه. نفث المدير دخان سيكاره بهدوء في فضاء المكتب، مما أضفى سحريَّه وغموض على الجلسة، ثمَّ تابع حديثه:

ربما تكون قد عجبت لوجودي هنا وقد أثار ذلك فضولك، ولكن دعك من ذلك، أنت تعلم أنَّني نلت شرف الإدارة عليك وعلى زملائك العشرين منذ أسبوعين، وأنت تصرُّ على الحضور متأخّراً عن مواعيد عملك، مع أنَّني قد أوقعت بك عقاباً بخصم سبعة أيام من راتبك، نظير تأخرك عن

FOR AUTHOR USE ONLY

العمل لمدة خمسة أيام على التوالي، ومع ذلك لم تسترحم! ولم تترك التأخير! وهذا ما دفعني إلى القدوم إليك لمعرفة سبب كلِّ ذلك التأخير.

حَمِد عصام الله كثيراً بأن جعل سبب كلِّ هذا الرعب خطأ التأخير، نطق بصوت أقرب إلى الهمس:

آه. التأخير كالمعتاد.

– ماذا قلت؟! هل لك أن تقنعني بسبب تأخُّرك نصف ساعة أخرى عن وقت حضورك المتأخِّر أصلاً؟

لا يدري عصام كيف وجد نفسه يمتلك هذه الشجاعة، والتي جعلته يجد لدَّة في الحديث مع سيادة المدير، ربَّما لأنَّه فتح له موضوعاً لم يفاتح هو به نفسه من قبل، مع أنَّه سبب كلُّ الكوارث التي تنهال على رأسه، فقال:

ستعجب يا سيدي المدير إذا علمت أنَّ سبب تأخُّري في الحضور اليوم هو التأخير ذاته، وقد...

قبل أن يكمل عصام كلامه ألقى المدير بعقب السيجارة، ودهسه بكعبه في عصبيَّة واضحة، وهو يلعن الموضوعيَّة والعمليَّة التي تجعل مثل هذا الموظف المهمل يتلاعب بالكلمات في حضرته، خرج من المكتب وقد اكفهرَّ وجهه، وبعد أن توارى همهم عصام لنفسه: لم يستطع أن يصبر حتى يسمع إجابتي عن السؤال الذي جعله يهبط إلى مكتبي المتواضع، لا بأس، سأجيب عن سؤاله في حيثيات الاستقالة التي سأقدمها الآن، جلس على الكرسي خلف المكتب، وشرع في كتابة خطاب استقالته بحماس.

FOR AUTHOR USE ONLY

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد/ مدير شركة المورد/ المحترم

تحية طيبة

الموضوع: طلب استقالة

أنا الموظف عصام الناجي، الموظف بالدرجة التاسعة بشركة المورد، أتقدم بطلبي هذا راجياً من سيادتكم النظر فيه بعين الاعتبار، حيث أنني التحقت بالعمل بهذه الشركة بتاريخ ٣/٤/ ١٩٩٥م .. مضت علي عشرة سنوات من العمل بهذا الصرح الشامخ وكلي إيماناً وإخلاصاً للعمل به، إلا أنني خلال فترة عملي احتملت أصنافاً من العقاب من خصم من المرتب أو إبقاء في الدرجة التي أعمل بها، كل ذلك لسبب خارج عن إرادتي، وبما أنه لا أحد من رؤسائي السابقين سألني عن السبب في ذلك، معنى ذلك أن معرفة السبب بالنسبة إليهم لا يفيد في شيء، سأظل محتفظاً به في أعماق نفسي، ولكن كل ما أرجوه من سيادتكم أن تقبلوا استقالتي عن العمل، وذلك حتى أتيح لكم فرصة الاستفادة من موقعي، وحتى لا أكون عبئاً ثقيلاً علي الشركة.

FOR AUTHOR USE ONLY

تقبلوا بالغ شركي وتقديري

عصام الناجي ٥/٦/ ٢٠٠٥م

تهللت أساريره بعد أن أنتهى من كتابة طلب الاستقالة، همَّ بالنهوض، تذكر فجأة عهداً قد قطعه على نفسه قبل قليل، حيث تعهد بأن يجيب عن سؤال المدير، والمتعلق بسبب تأخيره اليوم.

بسط ورقة الاستقالة ليضيف عليها:

أعلاه أنتهي طلب الاستقالة، ما سيأتي أدناه هو إجابة عن سؤالك اليوم، هذا إذا كنت محتفظاً برغبة معرفة الإجابة عنه. هذا إذا كنت مصراً ولديك متسعاً من الوقت لتعرف هذا السر الذي أحمله ثلاثين عاماً، ولم أكاشف به أحداً. لا أدري من أين أبدأ ؟! ولكن سأبدأ من حيث يبدأ الناس، ولدت لأسرة محدودة الدخل، وكان ترتيبي العاشر بين أخوتي الذكور، وقد منحني الله بسطة في الجسم، حيث كنت في السادسة من عمري أجلس في الصف الأخير من غرفة الدراسة، وذلك لطولي وكبر حجمي عن أقراني، وترتَّب على ذلك حصولي على الترتيب الأخير في نهاية كل فصل دراسي، وبعناية ربانية، ثم بمجهود مضاعف من الدراسة اجتاز كل فصل دراسي، بالرغم من احتياجي لعامين أحياناً لاجتياز فصل دراسي واحد، ربما هذا العامان أتاحا لي فرصة التعمق في المنهج الدراسي لكل فصل أمر به، وأذكر إنني قد قرأت في المرحلة الثانوية أن في جسم كل منا ساعة بيولوجية تنظم وظائفه وقدراته الحيوية، وحتى بلوغي تلك المرحلة كنت أقسو على نفسي بسبب تأخري في كل شيء، ولكن بمعرفتي لتلك المعلومة استنتجت أمراً مفاده إذا كانت في جسم كل منا ساعة بيولوجية فذلك يحتم وجود ساعة قدرية تتحكم في تصرفاته وردود أفعاله، ومن يومها لم أعد اهتم، ولم أعد أعاقب نفسي على التأخير، وذلك ما أوصلني لمرحلة من الاستتباب النفسي راضياً مسلماً أموري للقدر، حتى تاريخ التحاقي بعمل الشركة، وبالرغم من أنني كنت أول المتقدمين للعمل بها إلا إنني كنت آخر المقبولين للعمل بها ربما كان مرض أو غياب أحد المتقدمين هو السبب في قبولي للعمل بالشركة، وقد صارت أموري بالشركة على ما يرام سوى ما ذكرته لك أعلاه، حتى ذلك اليوم السابع من مارس الماضي، حيث وقع بصري صدفة على سكرتيرة المدير، ذلك وأنا أوقع على دفتر الحضور، وبالرغم من وجود هذه السكرتيرة بهذه الوظيفة قرابة الثلاث سنوات، إلا إنني لم أهتم يوماً ولم أكلف نفسي مشقة النظر إلى وجهها وتفاصيله الجميلة، ربما لأنني لا أميل إلى لتحديق في وجه

FOR AUTHOR USE ONLY

محدثي ربما ذلك بسبب طبعي المتحفظ إذ إنني لا أميل إلى اكتساب المعارف والأصدقاء إلا ما يأتي عن طريق الصدفة، ويكون الطرف الآخر هو المصر على إنشاء مثل تلك العلاقة، فقد ترتب على ذلك حرماني من رؤية هذا الوجه الطفولي اللطيف، وربما كنت لن أراه إلى الأبد لولا أنها نطقت اسمي بعفوية:

عصام، هل أجد متسعاً من الوقت للحديث معك؟

حينها وقع بصري عليها، لم أصدق عيني بأنهما تريان كل هذا الجمال الصارخ بقامة ١٦٠سم، بل لم أصدق أذني بأنهما التقطتا اسمي عبر أثير المكتب، ستعجب لذلك، ولكن ذلك كان بالنسبة لي شيئاً آخر، حيث أنني أحمل هذا الاسم ثلاثين عاماً وأنادي به، لم أكن أعلم إن اسمي له هذا الرنين الموسيقي. اختل توازني لبرهة بدت كالدهر، ثم أجبت متلعثماً والعرق يتفصد من جبيني:

بلى . يمكنك ذلك يا أمل.

– عفواً . لا أقصد إحراجك. ولكن باعتبارك زميل لي في العمل فمن واجب الزمالة أن أنصحك. إنني أراك تتأخر دوماً عن العمل وهذا ليس من صالحك. أكرر اعتذاري إن كان في قولي ما يخدش شعورك.

– أشكرك يا أمل على هذه النصيحة الغالية وسأعمل بها ما استطعت و...

وفجأة ارتفع رنين الجرس الكهربائي، إن المدير في حاجة إلى سكرتيرته، بتر الحوار، وعدت إلى مكتبي أجرر قدمي. جلست على الكرسي خلف مكتبي ساهماً. لم أنجز شيئاً في ذلك اليوم، لقد أحسست بشيء يتبلور في قلبي، بما أنني لم أخض تجربة حب من قبل، وإن خبرتي لا تتعدى بعض الروايات الرومانسية، فإنني وجدت في ذلك اليوم وأحسست بشعور غريب، لم اعتقد أنه الحب من أول نظرة، احتجت إلى شهر كامل حتى أتأكد من أنه الحب، ولشهر آخر لمناقشة حيثياته، وفي الشهر الثالث أخبرت صديقي فؤاد بالأم، أنني أكن معزة خاصة لفؤاد،

FOR AUTHOR USE ONLY

ما أن أخبرته بالأمر حتى استبشر وتهللت أساريره، وقد فرح صديقي لحبي ورغبتي في الزواج أخيراً. اجتمع صديقي فؤاد ببعض الزملاء وقرروا أن يخطبوا لي أمل، ذهب فؤاد وزملائه بالأمس إلى بيت أمل حتى يخطبوها لي رسمياً من أبيها وقد انتظرتهم هنالك مفاجأة ! وجدوا بضع سيارات تقف بجوار البيت، وما أن دخل فؤاد وصحبه حتى تم إكرامهم وضيافتهم، ثم استمر حديث الرجال الذين وجدوهم بالمنزل، وقد ختم العم عباس والد أمل الحوار بقوله: أننا لا نجد أفضل من سمير زوجاً لأمل. وأنه لشرف لنا أن نصاهر مثلكم.

خرج فؤاد وصحبه وقد وجدوا أنفسهم متأخرين إذ سبقهم بعضهم إلى خطبة أمل، وكنت في انتظارهم على أحر من الجمر، أقبلوا إلي والخيبة بادية على وجوههم، وقد قال فؤاد: لقد سبقنا إلى..

دمعت عينا فؤاد من التأثر، لم يستطع أن يكمل، فقلت مسرياً عنه:

لقد كنت أتوقع ذلك لأنني لم أفاتح صاحبة الشأن بذلك، ولا أنتم فطنتم لذلك.

لقد كان ما قلته شجاعة زائفة أدعيتها، لأنني لم أكن أتوقع ذلك، بل سبَّب لي ذلك صدمة، وان كنت أبدو متماسكاً.

FOR AUTHOR USE ONLY

أجهشت بالبكاء، وذلك لأول مرة في حياتي، عمدت إلى علبة الأقراص المنومة تناولت منها عدداً لا بأس به، ولم أستيقظ إلا في التاسعة إلا ربع، وقد انتظرتني حينها بمكتبي، هذا سبب تأخيري نصف ساعة أخرى عن وقت حضوري المتأخر أصلاً.

ما أن قرأ المدير طلب استقالة(الناجي) والتوضيح المرفق معها عن سبب تأخير عصام اليوم.. حتى وجد نفسه متعاطفاً مع هذا الموظف المغلوب على أمره. علق بخط يده أسفل طلب الاستقالة بالآتي:

أرفض الاستقالة. سأعالج الأسباب التي أدت إليها، يوقف الخصم من مرتب المذكور بسبب التأخير. تم تعينه رئيساً لقسم الطلبات المتأخرة للشركة.

زواج عصري

– لقد تعرض لخدعة متقنة! ما كنت أعتقد أن يحدث هذا معي!

غمغم بذلك نبيل وهو يحزم أمتعته، ويضع ملابسه في حقيبة السفر إيذاناً بالرحيل من عش الزوجية، قرر أن يترك هذا العش بما فيه وما عليه، لا يرغب في البقاء به يوماً واحداً بعد الآن، يكفيه ستة أشهر قضاها بهذا القفص الذي يسمونه بالقفص الذهبي، لقد اكتشف مؤخراً أنه مطلياً بماء الذهب فقط وليس ذهبياً تماماً، فطن إلى ذلك بعد أن أمضى ستة أشهر مع النفاذ بالحياة الزوجية، الآن فطن إلى صدق المقولة السيارة (ليس كل ما يبرق ذهباً)، إنَّ قائلها أصاب كبد الحقيقة.

لم يكن الزواج فكرة طارئة أو عارضة بالنسبة لنبيل، بل كان حلماً يومياً وهاجساً ملحاً يطرأ عليه بعض التعديل بالإضافة أو الحذف بين كل يوم وليلة، إلا أن الحلم في حد ذاته كان مشروع حياته، وقد وجد صعوبة شديدة في العثور على نصفه الآخر، بل كاد أن ييأس من ذلك، وقد ظن أن لا وجود لنصفه الآخر على الأقل في هذا العقد من القرن الحالي، ولكن يبدو أنه كان متشائماً أكثر مما ينبغي، لقد وجدها! وجد نصفه الآخر بعد البحث المضني بين الأهل والأقارب، وكذلك بين رواد المصايف والمشاتي، وقد بحث كثيراً بين السواح وأصحاب البلد الأثري، لم يعثر على ما يريد في كل تلك الأماكن، بالرغم من أنَّه كان يجد بعض المواصفات التي يرغب في توفرها في زوجته المرتقبة، لكن ذلك لم يرض طموحه، لأنَّه ليس من أصحاب مبدأ توفر الحد الأدنى من الشروط والمواصفات لزوجة المستقبل، إنَّه لا يقبل بنقصان شرط واحد، لأنَّه سيوفر لتلك الزوجة– صاحبة الحظ السعيد– كل ما تحلم به وما لم تحلم به، فلديه من المال ما يعجز عن إحصائه، إنَّه يرغب في شريك يشاركه حياته وأمواله، لذلك على الشريك أن تتوفر فيه كل ما يرغب فيه من المواصفات والشروط الصارمة، لأنَّه يعتقد أن الزواج ليس

FOR AUTHOR USE ONLY

عبثاً، إنَّه الاستقرار، وهو يعلم أنَّ أكثر المباني استقرارا ورسوخاً تلك التي تقوم على تصميمات ومواصفات وشروط إنشاء صارمة، وهذا بالضبط ما يطلبه ويطالب بتوفره في نصفه الآخر.

لم يكن يعتقد أن يجد ذلك قريباً، لقد كان ذلك قبل أشهر ستة، وقد كان مدعواً لحفل عائلي لصديقه رجل الأعمال الشهير مروان البدر، وكان مروان بدراً كأبيه، لقد كان وسيماً جداً بالرغم من سنوات عمره الخمسين ! كما كان هنالك بدر بل شمس لا تقل إضاءة عن مروان البدر– أخته الآنسة لمياء البدر، لم يكن يعلم نبيل أنَّ لصديقه– مروان البدر– أختاً بهذا الجمال البارع، بل الآسر والفاتن والخلاب، من المستحيل ألا يرضخ رجل لهذا الجمال الصارخ، لقد كانت لمياء فتنة تمشي على قدمين، بدء من شعرها الطويل الفاحم الناعم، ووجهها الوضاح المتلألئ رقة وحيوية، خداها الناعمان المتوردان حياء ونعومة، عيناها العسليتان الفاتنتان الشهيتان الآمرتان والناهيتان، أنفها الشامخ أنوثة وكبرياء، وقد حق لها ذلك، لقد كانت لمياء فتنة يصعب التحرر من إغرائها، ألقى نبيل نظرة متفحصة على يدي لمياء الناعمتين، وجدهما تحيط بهما الكثير من الأسورة الألماسية، وكذلك الختم الباهظة الثمن، لحسن الحظ لم ير أي أثر لخاتم خطوبة أو زواج بيدي الآنسة، وهذا ما سرَّه بالرغم من أنَّه قد عجب لذلك، لا أحد فكر في الاقتران بهذه الفتنة الثائرة، ولكن برر ذلك بأن الكثير من الرجال يتهيب الاقتراب من مثل هذه الفاتنة الفتية، ولكن مركزه المالي ومكانته الاجتماعية تتيح له الاقتراب من لمياء بل والزواج منها، اقترب منها نبيل وحياها، وجدها تحفظ اسمه وشيئاً عن مركزه المالي، وهذا ما سهل عليه المهمة، بعد حوار قصير وعادي عرض عليها الزواج، قبلت العرض بعد تمنع مصطنع، عرض الأمر علي أخيها مروان البدر، فرحب مروان بالفكرة، وقد وجد فيها شراكة جاذبة ومثمرة.

تزوج نبيل من لمياء، مرت الشهور الثلاث بكل المتعة والسعادة، ثم بدأت بعض الأشياء تبدو على حقيقتها التي لا مراء فيها، إذ لم يعد القوام متناسقاً كما كان من قبل، البشرة النضرة الطرية لم تعد ناعمة وفاتنة، وقد أصابها التغضن والتجعد، الوجه الوضاح المتألق فقد ألقه

FOR AUTHOR USE ONLY

وبريقه، ترهل الجفنان الجميلان وصار كسدين ترابيين، بدأت بعض البثور تغزو الخدين الناعمين بشراهة مخلفة بعض النقاط السوداء، أما الشفتان المشدودتان أصبحتا كجوارب تلميذ بمرحلة الأساس، لقد صار كل شبر في جسد زوجته يحتاج إلى إعادة ترميم عاجلة حتى يعود إلى ما كان عليه، وقد لاحظ نبيل كل تلك التغيرات التي تطرأ على جسد زوجته، حتى صار يشك بأن تكون هذه التي أمامه هي نفس زوجته التي تزوجها قبل ستة أشهر، يخشى أن يكون قد حدث لها تغيرا في الفندق، لو أن هناك أختاً لزوجته لأقسم نبيل على حدوث تبادل للأدوار، خطر له خاطر طفولي سخيف، رفع الصحيفة مغطياً بها وجهه، بعد أن صنع بها ثقباً، ثم قال:

– لمياء.

التفتت إليه زوجته، وقد كانت تشاهد على التلفاز برنامجاً عن جراحات التجميل، لذلك قالت وهي لم ترفع بصرها عن التلفاز:

– نعم.

عجب نبيل!.. لماذا تبدو أنها ليس هي؟!

مرة أخرى قال حتى يتأكد من ذلك:

– لمياء.

ثم تتشاغل بقراءة الصحيفة، وهو يراقب زوجته من الثقب الذي صنعه بالصحيفة وقد ردت زوجته بغضب لتصرفه الطفولي:

ماذا هناك؟.. ألا تكف عن هذا السخف قليلاً.

أغضبه ردها، لأنه يعتقد أن من يكون له شكلاً ووجهاً كزوجته لن يجد وقتاً حتى يزعق في الناس بهذه الطريقة، بل يعتقد أن زوجته لم تطالع وجهها على المرآة منذ ثلاثة أشهر، ربما تعلم النتيجة مسبقاً لذلك تتفادى المرور أمام المرآة، ما ذنبه إذن في أن يحتمل تفسخ جسدها، وقد صارت هي نفسها لن تستطيع أن تقف أمام المرآة وذلك بسبب تغير سحنتها، ليس ملزماً

FOR AUTHOR USE ONLY

بأن يحتمل عشرتها المملة والسخيفة، ثم ما الذي يضمن له أن زوجته هذه لن تتحول إلى مسخ، وهي التي تغير جسدها ومعالمه في أقل من شهور ست، لقد قرر أخيراً أن يفر بجلده ويترك لها عش الزوجية، لقد صار هذا العش وحياته لا يطاقان، وضع ملابسه بعناية في حقيبته الكبيرة وهو يغمغم:

لقد تعرضت لخدعة متقنة! ما كنت أعتقد أن يحدث هذا معي! لن أذهب إلى غرفتها، بل سأجعل رحيلي مفاجئاً لها، يجب أن يهتز كيانها، أنا نبيل مسعود أتعرض لمثل هذا، وأخدع بمثل هذا الجسد العجوز، والذي تم ترميمه بواسطة خبراء التجميل، لا بأس، فليتزوجها الآن خبراء التجميل، ولتفعل بنفسها ما تشاء.

حمل نبيل حقيبته، همَّ بالخروج وإذا به يجد مظروفاً أنيقاً على المنضدة، كتب على غلافه الخارجي (عاجل إلى السيد نبيل)، فضَّ المظروف الأنيق، وجد خطاباً بداخله، خفق قلبه بعنف وقد بدأ بقراءة الخطاب:

FOR AUTHOR USE ONLY

زوجي العزيز

اغفر لي، ما ستقرأه بهذا الخطاب سيكون قاسياً عليك، لم أتعمد القسوة عليك، ولكنها الحقيقة القاسية، عليك أن تتصرف كرجل يحترم رجولته ومكانته، سيكون الفقد عظيماً، أرجوك، طلقني، لا تحاول اللحاق بي، كن كريماً كما كنت منذ أن عرفتك وتزوجتك.

قد يكون طلبي للطلاق غريباً، وربما ترى أنه لا شيء يبرر ذلك، ستحاول أن تبحث عن السبب كثيراً، وتتهم نفسك بالتقصير في جانبي، لا شيء من ذلك قد حدث، لكن هذا الطلب، طلب الطلاق يتعلق بأمور أخرى تعرفها جيداً وإن كنت تسعى جاهداً لإخفائها عني، وقد لاحظت كل شيء أخيراً، لقد اكتشفت كل شيء أخفيته عني، إنك لم تعد الرجل الذي تزوجته قبل ذلك، الرجل الذي يبدو مليحاً متناسق القوام، الفاحم الشعر، الوضئ الوجه، اللامع البشرة، إنك لم تعد ذلك الرجل، بل لقد خدعت فيك، وخدعت في تقدير سنوات عمرك، لقد تزوجت برجل هرم.

إنك لم تلاحظ بنفسك ما لاحظته فيك، لقد بدأ جلدك يتجعد بسرعة، وقد بدأ الشيب يغزو شعرك بكثافة مبالغ فيها، لم أتوقع أن يشيخ الإنسان بهذه السرعة، وقد صدمني ما وجدته بالأمس، لقد وجدت الإناء الذي أخفيته عني طويلاً، ولم أراه إلا في تلك الليلة، ربما قرر القدر أن يفضحك أخيراً، لقد وجدت الإناء الذي تضع فيه أسنانك الاصطناعية، والتي لم أشك يوماً في طبيعيتها، كنت اعتقد أنني قد حصلت على عريس القرن قوة وشباباً، لقد كنت قابضة على رجل من ثلج، يذوب يومياً بعضه، لست على استعداد لانتظار أن يصبح يوماً وأقبض بيدي على العدم، .أرجوك ارحم شبابي من ترمل سابق لأوانه، طلقني، لا تحاول اللحاق بي

المخدوعة / لمياء البدر.

FOR AUTHOR USE ONLY

الهديَّة

أقبل العيد وفرحة مشوبة بالحزن والترقُّب تسيطر على (الحيِّ العربيِّ) بمدينة القدس، ثمَّة بقايا لبيت فلسطينيٍّ متهدِّم، آثار للقصف والتنكيل تبدو على كلِّ حجر من أحجاره، بالداخل رجل يضع أمامه طست من الألمونيوم، بجانبه إناء لماء الاستحمام، يبدو الرجل منهمكاً في غسل ابنه (غسَّان) ابن الخمس سنوات، ولم يكن سويلم يشغل نفسه فيما مضي من حياته بمثل هذه الأمور، لولا أنَّ رصاص العدو– الذي انتزع منه زوجته– أجبره علي التفرُّغ لمثلها، لقد خلَّف رحيل زوجته (ليلى) فراغاً هائلاً في حياته وتصرُّفاته.

حمل ابنه من على الطست ثم وضعه على السرير، وقد لفَّه بثوب تركته أمُّه، وبعد أن جفَّف جسد الصغير من الماء أخرج سروالاً صغيراً شدَّه على وسطه، ثمَّ أغلق أزرار القميص، ثمَّ شد حذاء– يبدو عليه التقادم– على قدمي الصغير، وهو يقول مبتهجاً لذلك: والآن ماذا تتمني أن أشتري لك يا بنيّ؟

يبدو أنَّ الصغير غير مسرور لذلك، بل ليس لديه أيُّ رغبة في امتلاك شيء ما. لا يسرُّ ذلك أباه فيقول محمِّساً:

هل اشتري لك سيارة أم قطاراً أم طائرة؟

يحملق غسَّان في وجه أبيه، يبدو أنَّه لا يرغب في امتلاك أيِّ لعبة من تلك الألعاب التي يتمناها الأطفال، أحسَّ سويلم بفداحة فَقْد زوجته(والدة هذا الطفل)، وأنَّ قتلها أمام عيني صغيرها جعله يعزف عن الحياة ومسرَّاتها، يحتضن سويلم ابنه، ويربت بيده على رأسه، فتغلبه الدموع، فتنهمر على رأس ابنه، فيرفع رأسه قائلاً:

هل تبكي يا أبتاه؟! لقد قالت أمي إنَّ الرجال لا يبكون!

ضمَّ سويلم جسد ابنه إلى صدره، وقد راقه وأثلج صدره ما نطق به ابنه، وقد ضاعف سروره واجتثَّ حزنه ما قاله غسان بعد ذلك:

FOR AUTHOR USE ONLY

إن كان لابد من ذلك يا أبتي فاشترِ لي مسدساً.

بالرغم من أن سويلم قد سُرَّ لطلب ابنه و رغبته في هديَّه العيد، إلا أنَّه يعلم أنَّ تحقيق ذلك ضرباً من المستحيل تحت هذا الحصار المضروب على الحيِّ، ولكن لديه رغبة عارمة في إحضار الهديَّة حتى ولو كلَّفته حياته. يقبِّل ابنه ثم يطلب منه عدم الخروج من الحجرة إلي بهو المنزل مهما كانت الظروف. غادر سويلم الحجرة بعد أن حصل على وعد منه بعدم الخروج. استرق سويلم النظر عبر الفراغات التي خلَّفتها القذائف على سور المنزل، فأبصر ناقلة جنود تمرُّ على مقربة من سور المنزل، تراجع برأسه إلى الداخل، وبعد أن مرَّت ناقلة الجند أخرج سويلم رأسه من فراغ بالسور، أحسَّ بهواء الحريَّة يعبر من أنفه إلى صدره، فمنحه ذلك دافعاً قوياً للخروج، أخرج نصف جسده عبر الفتحة، أقبلت ناقلة جند من الطريق المقابل بسرعة نحوه، تراجع بجسده كضبٍّ متمرِّس، يبدو أنَّهم لم يروه وقد مرُّوا على الطريق، وقد ملَّ من الانتظار، تذكَّر أنَّه قد قطع عهداً على نفسه بأن يحضر لابنه الهديَّة، وقد وعده ابنه بعدم الخروج من الحجرة فوفى بعهده، وقد مرَّت نصف ساعة وهو يتوجَّس خيفة من الخروج، ولم يفِ بوعده بعد، وقد آلمه أنَّ ابنه في انتظاره، تذكَّر أنَّ الفرحة التي ستشعُّ من عيني غسان تستحق المخاطرة. أخرج سويلم جسده دفعة واحدة عبر الفتحة، لم يكن يعتقد أنَّه يمتلك شجاعة كهذه في وقت كهذا، ولكنه وجد نفسه مرغماً على ذلك، وقد أحسَّ بأنَّ الحياة بعد أم غسان لا تطاق.

يركض سويلم وقلبه يضطرب من الانفعال، يجتاز الشارع المقابل لبيته، وقد سرَّه ذلك لأنَّه يعلم لو أنَّه استطاع أن يجتاز الطريق المقابل فسيدخل الحيَّ اليهوديَّ، وستقلُّ فرص ملاحقته هناك، ولم يكد يقترب من اجتياز الطريق الثاني حتى أبصر ناقلة جُنْدٍ تنطلق نحوه بسرعة مجنونة، أحسَّ بالخطر يشلُّ تفكيره، وأبصر على مقربة منه جرَّافة إسرائيليَّة متوقِّفة على أنقاض بيت فلسطينيٍّ، يبدو قائدها نائماً، وقد فرغ من المهمة التي أوكلت إليه، لم يتردَّد سويلم كثيراً، ألقى بنفسه على الأرض، ثمَّ حشر جسده في الفراغ بين الأرض وهيكل الجرافة، وقد ردَّد

FOR AUTHOR USE ONLY

الشهادة بقلبه أكثر من مرة. توقّفت ناقلة الجنود على مقربة من الجرافة، يبدو أنَّ الجنود قد أبصروا ما أثار ريبتهم، ترجل ضابط من الناقلة ثم قال مخاطباً قائد الجرافة:

هل أبصرت شخصاً مرَّ من هنا؟

صوت الضابط الجهوريُّ وسؤاله الصارخ أيقظا سائق الجرافة، فأدار مفتاح المحرك متصنّعاً النشاط والانهماك في العمل، فانتفضت وانتفض جسد سويلم بعنف لانتفاضها، وقد ثار الغبار مغطّياً جسده والموت تحت عجلاتها يهدِّد حياته. وقد كان يتوقع الموت برصاص الاحتلال في كل لحظة، ولكنه لم يحلم في أبشع كوابيسه بأن يفرم لحمه وهو حيٌّ، همَّ بأن يصرخ بأعلى صوته، أو يخرج من مكمنه، لأنَّه يعلم حينها لن يتعدى الأمر رصاصة في الرأس ثم ينتهي كلُّ شيءٍ، ولكنه لم يفعل بالرغم من أنه قد كاد، وقد تراجع الضابط إلى ناقلة جنوده بعد أن أجابه السائق بقوله:

لم أرَ أحداً يا سيدي. ربَّما رأيتم كلباً أو قطاً، أو ربَّما شبه لكم!

ولم يقنع الردُّ الضابط ولكنه مع ذلك عاد إلى جنوده، وقد انطلقت بهم الناقلة مبتعدة عن المكان، وأوقف سائق الجرافة هدير المحرك، ثمَّ عاد إلى نومه، وقد خرج سويلم من تحت الجرافة زاحفاً حتى ابتعد عن المكان.

FOR AUTHOR USE ONLY

* * *

* * *

* * *

سمع غسان طرقات عالية على الباب الخارجيِّ للبيت، دفعه الفضول إلى الخروج من الحجرة مخالفاً بذلك نصيحة وأمر أبيه، فتح الباب الحديديَّ، وجد ثلّة من الجنود يتقدمهم ضابط شاب، تبدو عليه دلائل القسوة والاستهتار، أحس غسَّان بغريزة الطفل أنهم يريدون شراً، إلّا أنَّه

لم يرتجف، وقف في منتصف الباب وقد بسط ذراعيه وباعد بين رجليه كأنَّما يمنعهم من الدخول وهو يقول:

ماذا تريدون؟

وقد أعجب الضابط من جرأة الطفل فقال:

إنَّنا نبحث عن أبيك.

فردَّ غسان بحدَّة:

إنَّه غير موجود بالداخل.

فقال الضابط:

دعنا نتأكد من ذلك.

لن أسمح لكم بالدخول. وقد قلت لك إنَّه غير موجود.

قهقه الضابط حتى اهتزَّت معدته من الضحك، وقد همَّ أحد الجنود بإطلاق النار على الطفل، وقد كاد يفعل ذلك لو لم يلتفت إليه الضابط وهو يقول:

إيَّاك أن تفعلها يا شاؤول. إنَّ الطفل لم يكذب. مادام قد قال إنَّ أباه غير موجود فذلك يعني أنَّه غير موجود بالفعل. ثمَّ إنَّ هذا البطل الصغير يستحق مكافأة من نوع آخر.

قال ذلك ثمَّ حمل غسان بيديه وألقى به بعيداً داخل المنزل، فسقط الصغير على الأرض والدم ينزف من جسده، وقد أخرج الضابط جهازه اللاسلكيّ وهو يقول مخاطباً:

من (ق-١) إلى النسر(٢٤) هل تسمعني؟

فأجاب صوت عبر الجهاز:

(نعم أسمعك بوضوح (ق-١).

- لقد تمَّ تحديد الموقع (ش. ق.١٣) نفِّذ .

-عُلِم. سينُفَذ.

FOR AUTHOR USE ONLY

دخل سويلم إلي متجر لأحد اليهود وسأله:

هل أجد عندك مسدسات الأطفال؟

فأجاب صاحب المتجر:

بلى.

– كم ثمنه؟

ثمانية شياكل.

وجد سويلم المبلغ أكثر من كثير على لعبة أطفال، بل أنَّه يكدح نهاره وليله نظير مثل هذا المبلغ، ولكنه لن يغلى على ابنه غسان. أخرج سويلم النقود، ونقد التاجر الثمن، فناوله الأخير المسدس، فدسَّه سويلم تحت إبطه، ثم خرج مسرعاً.

اجتاز سويلم منطقة الحيِّ اليهوديِّ وطرقه، وبينما هو يهمُّ بدخول الحيِّ العربيِّ أطبقت عليه دوريَّة راجلة للجنود، لم يدرِ متى تمَّ إنزال الجنود بهذا الموضع، لقد مرَّ به قبل قليل ولم يكن به أحد منهم، لم يعد أمامه مفرٌّ وقد سقط في قبضة يد العدو، لم يهتز ولم يخف، ولكنه حزن على أنَّه لم يستطع أن يفي بوعده لابنه.

FOR AUTHOR USE ONLY

أمره أحد الجنود أن يرفع يديه عالياً، فامتثل سويلم للأمر، وقد صوب الجنود مدافعهم الآليَّة عليه، وأصابعهم المتوتِّرة تربت على الزناد، اقترب أحدهم منه، وفتَّشه جيداً، وقد وجد الجنديُّ المسدس الذي سقط من سويلم، فتناوله من على الأرض، وبعد أن تفحَّصه بإمعان قذف به بعيداً، وركل بطن سويلم بعنف، فسقط الأخير على الارض يتلوَّى من الألم، ثمَّ ركله مرة أخرى على وجهه فسالت دماء سويلم على الأرض، وقد كان بإمكانه أن يقاوم، وربَّما تمكَّن من قتل الجنديِّ بيديه العاريتين، ولكنَّه يمنِّي نفسه بإيصال الهديَّه إلى ابنه الذي طال انتظاره، لذلك اكتفى سويلم بمسح الدماء عن فمه وأنفه، وقد طُلِب منه القيام، فوقف على قدميه بصعوبة.

تشاور الجنود فيما بينهم، أخرج أكبرهم رتبة قطعة معدنية من جيبة ثم استهموا عليه، فصار من نصيب الجندي(إيزاك) ابن العشرين عاماً، فقال مخاطباً سويلم بصلف: سأغمض عينيَّ، ثمَّ أعد من واحد إلى عشرة. ثمَّ سأطلق النار. عليك أن تبتعد هيَّا.

لم يصدق سويلم أذنيه، أنطلق مسرعاً، وقد بدأ العد التنازليُّ لإطلاق النار، تذكَّر أنَّ طلقات المدفع الآليِّ ستلحقه لا محاله، ولكنَّه حثَّ نفسه على التفاؤل وهو يركض، وكأنَّه قد نسى أن حياته معلَّقة على بلوغ الجنديِّ للرقم عشرة، كما نسى رصاصات القنص التي ستلاحقه حينها. أحسَّ إيزاك بأنَّ طريدته تبتعد بسرعة، خشى أن يفلت الصيد من مرماه، ولم يكمل بعد وقد نطق بالرقم ثمانية، لم يتمالك نفسه، أطلق رشقة من مدفعه الآليِّ، وقد انحنى سويلم في ذات اللحظة لالتقاط المسدس اللعبة، فسمع أزيز الرصاص يخترق أذنيه فسقط على الأراض في ذات اللحظة التي انطلقت فيها الطلقات بموضع رأسه قبل أن ينحني، رقص إيزاك طرباً وقد ظنَّ أنَّه أصاب الهدف، ثمَّ تحرك هو وصحبه بخطوتهم العسكرية النشيطة، إذ إنَّ أمامهم كثير من المهام التي يجب أن تنجز اليوم.

FOR AUTHOR USE ONLY

* * *

* * *

* * *

وقف غسَّان على قدميه، مسح الدماء عن وجهه وعن خدوش يديه، وقد قرَّر أن لا يخبر أباه بذلك، ثم تذكَّر وعده لأبيه، عاد إلى حجرته مسرعاً، همَّ بأن يستلقي على السرير، أبصر حيَّة ضخمة تتربع على السرير لم يتردَّد غسَّان كثيراً فخرج مسرعاً ثمَّ عاد يحمل عصا كانت خارج الحجرة، رفع العصا عالياً بكلتا يديه، ثمَّ أهوى بها على السرير، انطلقت الحية نحو الباب وقد افلتت من الضربة، خرج غسان خلفها، فخرجت بفتحة كبيرة على سور المنزل، لم يتردَّد غسان وقد خرج خلفها وهي تتجه نحو أنقاض المنزل المجاور. لم يرَ غسَّان (الأباتشي)

التي تحلّق على فضاء بيته، كما لم يبصر قائد المروحيَّة غسَّان بين أنقاض المنزل المجاور. دارت (الاباتشي) دورة كاملة ثم اطلقت صاروخاً موجهاً نحو المنزل، ثمَّ انطلقت مبتعدة عن المكان.

سمع سويلم هدير المروحيَّة، أحسَّ بالخوف يعتصر قلبه، وهو يخشى على ابنه من نيران المروحيَّة، عضَّ سويلم على لسانه من الندم، لأنَّه قد أمر طفله بأن لا يغادر الحجرة، ركض سويلم نحو البيت مسرعاً، فأبصره حطاماً وقد سوِّي بالأرض، فمادت به الأرض وكاد أن يسقط مغشيَّاً عليه من الحزن على موت ابنه، ومن بين أنقاض البيت المجاور، خرج غسَّان وقد أبصر أباه، فانطلق نحوه فرحاً، حينها أبصر سويلم ابنه فطار إليه من الفرح، وهو ينطلق نحوه كالسهم، ولم يبالِ بالحجارة التي تتطاير من مكونات البيت.

ثمَّة جنود كانوا يراقبون الحدث، وقد أبصروا الرجل منحنياً يعانق ابنه، فتحمَّس أحدهم وأطلق صلية من مدفعه الرشاش على الرجل وابنه، فتأرجح الجسدان في الهواء، طارت الروحان إلى السماء، وسقط الجسدان على الأرض يحتضنان المسدس اللعبة.

FOR AUTHOR USE ONLY

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
إهداء	٢
صراع الديكة	٣– ٩
دروس (خصوصيَّة)	١٠– ١٧
عيد ميلاد	١٨– ٢٢
الجائزة	٢٣–٢٦
متأخر جداً	٢٧– ٣٢
زواج عصري	٣٣– ٣٧
الهدية	٣٨– ٤٤

FOR AUTHOR USE ONLY

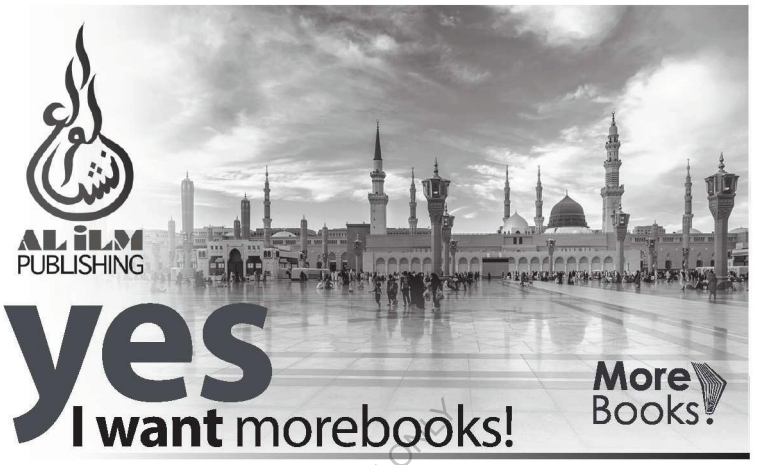

Buy your books fast and straightforward online - at one of world's fastest growing online book stores! Environmentally sound due to Print-on-Demand technologies.

Buy your books online at
www.morebooks.shop

FÜR AUTHORLIFE OHNE

Kaufen Sie Ihre Bücher schnell und unkompliziert online – auf einer der am schnellsten wachsenden Buchhandelsplattformen weltweit! Dank Print-On-Demand umwelt- und ressourcenschonend produziert.

Bücher schneller online kaufen
www.morebooks.shop

KS OmniScriptum Publishing
Brivibas gatve 197
LV-1039 Riga, Latvia
Telefax: +371 686 204 55

info@omniscriptum.com
www.omniscriptum.com

OMNIScriptum

FOR AUTHOR USE ONLY

FOR AUTHOR USE ONLY